المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

وزارة التربية والتعليم
MINISTRY OF EDUCATION

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

الحديث
والثقافة الإسلامية
للصف الأول الثانوي

طبعة ١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ
٢٠٠٧م - ٢٠٠٨م

يوزع مجاناً ولا يباع

ح وزارة التربية والتعليم ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعودية ، وزارة التربية والتعليم

الحديث والثقافة الإسلامية : للصف الأول الثانوي ـ الرياض

١٤٠ ص ـ ٢١ x ٢٣سم

ردمك : ٨ـ ١٩٥ ـ ١٩ ـ ٩٩٦٠

١ـ الحديث ـ كتب دراسية. ٢ـ الثقافة الإسلامية ـ كتب دراسية.

٣ـ التعليم الثانوي ـ السعودية ـ كتب دراسية. أ ـ العنوان

ديوي ٢٣٠،٧١٢ ١٩ / ٢١٢٣

رقم الإيداع : ١٩ / ٢١٢٣

ردمك : ٨ـ ١٩٥ ـ ١٩ ـ ٩٩٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمّة وفائدة كبيرة فحافظ عليه واجعل نظافته تشهد على حسن سلوكك معه...

إذا لم تحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتك الخاصة في آخر العام للاستفادة فاجعل مكتبة مدرستك تحتفظ به...

موقع الوزارة

www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج

www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm

الإدارة العامة للمناهج وحدة العلوم الشرعية

runit@moe.gov.sa

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، أما بعد :

فهذا مقرر مادة الحديث والثقافة الإسلامية للصف الأول الثانوي، وقد توخَّينَا فيه حسن العرض والترتيب، وسهولة العبارة، والاعتماد على المصادر الأصلية ما استطعنا، مع الاهتمام بتخريج النصوص والعزو للمراجع العلمية، ليتزود منها كلٌّ من المعلم والطالب، فما أصبنا فيه فمن الله وحده، وبتوفيق منه، وما أخطأنا فيه فنسأل الله العفو عنه.

وختاماً نسأل الله تعالى أن ينفع به ويكتب له القبول، كما نرجو من زملائنا المعلمين والمربين ألاّ يبخلوا بما عندهم من آراء وملحوظات علمية وتربوية تسير بالمقرر قُدُمًا نحو الأفضل.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

الفصل الدراسي الأول

أولاً : الحـديـث الشــريــف

الحديث الأول

عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» متفق عليه[1].

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل، حَبْر الأمة وإمام التفسير، أبو العباس، عبدالله ابن عمّ النبي ﷺ العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي رضي الله عنهما، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، انتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، دعا له الرسول ﷺ بسعة العلم والفقه في الدين، روى البخاري عنه ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل رسول الله ﷺ الخلاء فوضعت له وضوءًا قال: «من وضع هذا؟» فأُخبر،قال: « اللهم فقهه في الدين»[2] وفي رواية: «اللهم علّمه الكتاب»[3]، وفي رواية أنه قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[4].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع عدة، منها: كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، ٦٤/ ٨ برقم ٤٣٤٧، وفي كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، في ٢٦١/ ٣، برقم ١٣٩٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين ٥٠/ ١ ، ٥١، برقم ١٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء برقم (١٤١٣)، ومسلم ٤/ ١٩٢٧ برقم (٢٤٧٧) .

(٣) البخاري رقم (٧٥).

(٤) ينظر: مسند الإمام أحمد ١/ ٢٦٦ ، ٣١٤.

قال مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت : أجمل الناس، فإذا نطق قلت : أفصح الناس، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس.

من أكثر الصحابة رواية للحديث، وأعلمهم بالتفسير، وأقدرهم على الاستنباط.

توفي ـ ﷺ ـ سنة ثمان وستين للهجرة النبوية، وعاش إحدى وسبعين سنة[١].

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
حين بعثه إلى اليمن : بعثه :	أرسله وكان ذلك سنة عشر للهجرة.
أهل الكتاب :	أهل الكتاب هم كل أمة نزل على نبيها كتاب من الله سبحانه وتعالى، والمراد بهم هنا اليهود والنصارى، حيث أنزل على موسى ـ عليه السلام ـ التوراة، وأنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ الإنجيل.
فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله:	أي : ادعهم إلى أن يقرّوا بالشهادتين ويدخلوا في دين الله تعالى وتوحيده وعبادته. وأمَره النبي ﷺ أن يبدأ بالشهادتين؛ لأنها أصل الدين وأساسه، فلا يصح شيء من فروعه إلا بهما.
فإن هم أطاعوا لك بذلك :	أي : شهدوا وانقادوا واستجابوا، بأن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
فرض :	فرض بمعنى : ألزم وأوجب، والفرض في الاصطلاح هو الواجب، وهو ما يثاب فاعله امتثالاً ويعاقب تاركه.

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣٣١/ ٣، وتهذيب التهذيب ٢٧٦/ ٥ .

فرض عليهم صدقة :	الصدقة هنا : هي الزكاة المفروضة، ولا فرق في الاصطلاح الشرعي بين لفظ الزكاة والصدقة، فكلاهما بمعنى واحد، إلا أنه غلب عرفا استعمال الزكاة للزكاة المفروضة، واستعمال الصدقة على ما هو أعم.
تؤخذ من أغنيائهم :	الغني من يملك نصاباً من الأموال التي تجب فيها الزكاة، والضمير يعود إلى الذين أسلموا من أهل اليمن.
فتردّ على فقرائهم :	الفقير هو من لا يملك شيئاً من المال، أو يملك أقل من نصف كفايته، أعلى منه المسكين، وهو من يملك شيئاً من المال لكن لا يكفي حاجته من مطعم وملبس ومركب ونحوها. والضمير في : «فقرائهم» يعود إلى المسلمين من أهل البلد نفسه.
فإياك وكرائم :	منصوب بفعل مضمر، تقديره : احذر، والكرائم : جمع كريمة، أي : نفيسة، والمراد : خيار المال.
واتق دعوة المظلوم :	أي : تجنّب الظلم؛ لئلا يدعو عليك المظلوم. والسبب في ذكر هذه الجملة بعد قوله : (فإياك وكرائم أموالهم) هو الإشعار بأن أخذ خيار المال دون رضى صاحبه ظلم، فيجب أن يتجنبه، ولأن معاذ في مكان ولاية وسلطة.
فإنه ليس بينها وبين الله حجاب :	أي : ليس لها صارف يصرفها ولا مانع يمنعها من القبول، حتى ولو كان المظلوم فاسقاً أو عاصياً، ففسقه وعصيانه على نفسه؛ لما روى الإمام أحمد مرفوعا : «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه»[1].

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/٣٦٧، وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فتح الباري ٣/٣٦٠ : إسناده حسن.

الأحكام والتوجيهات

١ ـ أهمية الشهادتين وعظم شأنهما وأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء من العبادة إلا بهما، وهما مفتاح الإسلام، فلا يلج الباب من ليس معه مفتاح، ولا يكون الكافر مسلماً إلا بعد التلفظ بهما ومعرفة معناهما، والعمل بمقتضاهما.

٢ ـ الصلاة أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، فهي عمود الدين، ولا يقوم البنيان بدون عمود، ولعظم شأنها، وعلوّ منزلتها، حذّر الإسلام من تركها أو التهاون بها.

٣ ـ الفرض الواجب على المكلفين خمس صلوات في اليوم والليلة، وما عدا ذلك فليس بواجب، مثل السنن الرواتب، وصلاة الوتر، وصلاة الضحى، وقيام الليل، وغيرها، فهي سنن مؤكدة لا يليق بالمسلم أن يتركها، ففيها أجر عظيم، وثواب جزيل.

٤ ـ لأهمية ترابط المسلمين وتكاتفهم، وكونهم إخوة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر، جعل الإسلام الزكاة حقّاً للفقير والمسكين من مال الغني، فرضها اللّه تعالى، وجعلها ثالث أركان الإسلام ومبانيه العظيمة.

٥ ـ في مشروعية الزكاة حِكمٌ منها :ـ

(أ) طهرةٌ للمزكّي من دنس الذنوب والمعاصي.

(ب) إشعارٌ له بأن المال مال اللّه تعالى، فلا يبخل به على عباد اللّه.

(جـ) شكرٌ لنعمة اللّه تعالى.

(د) طهرةٌ للمال مما قد شابه من الشوائب.

(هـ) مواساةٌ للفقراء والمحتاجين واليتامى والمساكين، وسدٌّ لحاجاتهم.

٦ ـ الذين يستحقون الزكاة المفروضة حدّدهم اللّه تعالى في كتابه الكريم بقوله سبحانه :﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ ﴾[من الآية ٦٠ من سورة التوبة]، ولم يذكر النبي ﷺ في هذا الحديث إلا صنفاً واحداً تنبيهاً لبقية الأصناف، وأنه يجوز صرفها لصنف واحد منها.

وعليه فالزكاة المفروضة يجب ألا تعطى إلا من يستحقها، أما الصدقات المستحبة فوجوه صرفها غير محصورة.

٧ ـ دين الإسلام وسط في كل شيء، فهو وسط بين الأديان، وأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في الاعتقاد، والعمل والسلوك، والتعامل، فَفرْضُ الإسلام مالاً في حق الغني لا يعني الإضرار به فيؤخذ أنفَس ما لديه بدون رضاه، ولا يكون ذلك مؤدياً أيضاً إلى الإجحاف بحق الفقير فيعطى أرذل المال وأردأه بل يعطى الفقير من أوسط المال.

٨ ـ الأصل في الزكاة أن تصرف في بلد المال نفسه، فإذا دعت حاجة لإخراجها إلى بلد آخر أشد فقراً ـ مثلاً ـ فيجوز نقلها إليه.

٩ ـ عاقبة الظلم وخيمة، ونتائجه خطيرة، تظهر آثاره في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

وروى البخاري عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لَيُملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2]. ويكفي أن دعاء المظلوم مستجاب أيّاً كانت حاله، كما سبق بيانه.

١٠ ـ دلّ الحديث على مشروعية بعث من يجلب الزكاة من نواحي البلاد المختلفة، ومن ثمَّ يتولى الإمام أو من ينيبه توزيعها وتصريفها.

١١ ـ الدعوة إلى الله من أفضل الأعمال المقربة إلى الله تعالى وأزكاها وأجلّها، فهي وظيفة الأنبياء والرسل، وخير ما وَرِثه من بعدهم، رتّب عليها الباري جل وعلا الأجر العظيم والثواب الجزيل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3]

وقال الرسول ﷺ لعلي ـ رضي الله عنه ـ فيما رواه البخاري وغيره: «فوالله لأن يهدَيَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَعم»[4].

---

(١) الآية ٤٢ من سورة إبراهيم. (٢) الآية ١٠٢ من سورة هود، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وكذلك أخذ ربّك...) ٨/٣٥٤. (٣) الآية ٣٣ من سورة فصلت. (٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي ـ باب غزوة خيبر ٧/٤٧٦، والجهاد، باب دعاء النبي ﷺ في فضائل الصحابة، باب فضائل علي رقم ٢٤٠٦.

١٢ ـ من عوامل نجاح الدعوة أن تكون بحكمة، ومن الحكمة أن يبدأ الداعي بالأهم فالمهم، ألا ترى أن الرسول ﷺ أوصى معاذًا ـ رضي الله عنه ـ بأن يتدرج مع أهل اليمن بادئًا بالأهم وهو الشهادتان، ثم الصلاة، ثم الزكاة.

١٣ ـ استعمال الأساليب المناسبة في الدعوة من القول الحسن، والتعامل الكريم، والخلق المستقيم، وحسن العرض، ولين الجانب، وعدم الغلظة والجفاء، كلّ ذلك علامة الداعية الناجح في دعوته، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[١].

الأسئلـــة

س١ : لم بعث الرسول ﷺ معاذًا إلى اليمن ؟

س٢ : التوحيد أهم الضروريات، تحدّث عن ذلك من خلال دراستك للحديث.

س٣ : الزكاة أمرها عظيم في دين الله. اذكر ثلاثة من أحكامها تستنبطها من الحديث.

س٤ : اللين والرفق من عوامل نجاح الداعي، وضّح وجه الدلالة من الحديث.

س٥ : ما مرجع الضمير في قوله : (فقرائهم) ؟

س٦ : اذكر شيئا من حِكَم الزكاة.

س٧ : وضح عاقبة الظلم من خلال الحديث.

س٨ : ماذا تعرف عن ابن عباس رضي الله عنهما ؟

---

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

الحديث الثاني

٢ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء» رواه مسلم[١].

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل، سيّد الحفاظ الأثبات، أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ، اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة، أرجحها أنه : عبدالرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر، أوّل سنة سبع للهجرة.

قال الذهبي : حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لم يُلحق في كثرته.

ولم يروِ أحد عن النبي ﷺ أكثر منه؛ لملازمته له، فقد بلغت مروياته ٥٣٧٤ حديثاً.

روى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : إنكم تقولون : إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، وتقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي هريرة ؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق[٢]، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بَطني، فأشهَدُ إذا غابوا، وأحفَظُ إذا نَسُوا. وكان يَشغلُ إخوتي من الأنصار عملُ أموالهم، وكنت امرأً مسكيناً من مساكين الصفَّة، أعي حين ينسون، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث يحدثه : «إنه لن يبسط أحدٌ ثوبهُ حتى أقضي جميع مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول»، فبسطت نَمرةً عليّ، حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء[٣].

توفي أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ سنة سبع وخمسين للهجرة[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ١٣٠/ ١ برقم (١٤٥)، وهناك روايات أخرى للحديث متعددة في غير صحيح مسلم، ينظر مثلا : جامع الترمذي ١٨/ ٥، وسنن ابن ماجه ٢/١٣١٩ .

(٢) يعني : البيع والشراء.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب البيوع ـ باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، في ٢٤٧/ ٤ رقم (٢٠٤٧).

(٤) ينظر : سير أعلام النبلاء ٥٧٨/ ٢، وتهذيب التهذيب ٢٦٢/ ١٢ .

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
غريباً :	الغربة نوعان حسية كالعيش في غير الوطن، ومعنوية وهي المرادة هنا والمعنى : أن يكون المرء في استقامته وعبادته وتمسّكه بدينه وتجنّبه للفتن غريباً بين قوم ليسوا كذلك. والغربة نسبيةٌ، قد تكون في مكان دون آخر، أو في زمان دون آخر.
بدأ الإسلام غريباً :	قال القاضي عياض : ظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد الناس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد الناس وقلة أيضاً كما بدأ.
فطُوبَى للغرباء :	قال النووي رحمه الله : «وأما معنى طوبى فاختلف المفسرون في معنى قوله تعالى : ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[1] فقيل معناه : فرح وقرة عين، وقيل : نِعْم ما لَهم، وقيل : غبطة لهم، وقيل : خير لهم وكرامة، وقيل : الجنة، وقيل : شجرة في الجنة، وكل هذه الأقوال محتملة في الحديث»[2].

الأحكام والتوجيهات

١ ـ دل الحديث على عِظَم فضل الصحابة الذين أسلموا في بداية البعثة النبوية؛ لانطباق وصف الغرباء عليهم، حيث كانت غربتهم معنوية، حين خالفوا ما عليه قومهم من الشرك والضلال.

٢ ـ التمسّك بدين الله عز وجل والاستقامة عليه، والاقتداء بنبينا محمد ﷺ هو صفة المؤمن الحق الذي يرجو ثواب الغرباء وإن خالفه كثير من الناس، فالعبرة بالتمسك بالحق لا بما عليه أكثر الناس، قال

(١) الآية ٢٩ من سورة الرعد.

(٢) ينظر : شرح النووي على مسلم ٢/ ١٧٦ بتصرف يسير، وليعلم أن هذا من تفسير التنويع والتفسير للشيء ببعض أفراده.

تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾ الآية[1].

٣ ـ عظم أجر الغرباء وكثرة ثوابهم وعلوّ منزلتهم، والمقصود بهم الغرباء بدينهم، وليس المقصود المبتعدين عن أوطانهم.

٤ ـ جاء في عدد من الروايات أن الغرباء هم : الذين يَصلُحون إذا فسد الناس، وجاء أيضاً : هم الذين يُصلِحون ما أفسد الناس[2]، وهذا يدل على أن مجرد الصلاح للنفس لا يكفي، بل ينبغي السعي بالحكمة واللين والرفق لإصلاح من فسد من الناس ليصدق على المؤمن وصف الغرباء الذين مدحوا في هذا الحديث.

الأسئلـة

س١ : ما معنى الغربة في اللغة ؟ وأيّ المعاني ينطبق على التعريف الاصطلاحي ؟

س٢ : وضّح المراد بقوله : (بدأ الإسلام غريباً).

س٣ : اذكر بعض أوصاف الغرباء.

س٤ : هل تكون الغربة في زمن دون آخر ؟ وضّح ذلك.

س٥ : لماذا كان أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أكثر الصحابة رواية للحديث ؟

---

(١) آية ١١٦ من سورة الأنعام.

(٢) راجع تخريج الحديث ص ١٧ .

⋆ للإستزادة ينظر رسالة : كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة للحافظ ابن رجب، ومدارج السالكين للإمام ابن القيم، منزلة الغربة ٣/٢٠٣ .

الحديث الثالث

٣ عن عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ قالت : «كان النبي ﷺ يعجبه التيمّن في تنعّله، وترجّله، وطُهوره، وفي شأنه كله» متفق عليه[١].

التعريف بالراوي

هي الصدّيقة بنت الصدّيق، عائشة بنت أبي بكر ـ رضي اللّه عنهما ـ أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه، وهي من أكثر الصحابة رواية للحديث وبخاصة ما يتصل بحياة النبي ﷺ الأسرية داخل بيته، اشتهرت ـ رضي اللّه عنها ـ بفقهها وعلمها وحفظها وأدبها، توفيت ـ رضي اللّه عنها ـ سنة سبع وخمسين للهجرة، وصلّى عليها أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ[٢].

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
يعجبه :	الإعجاب بالشيء : محبته، ويؤيده ما جاء في رواية أخرى للشيخين : «يحب»[٣].
التيمّن :	هو الابتداء باليمين.
تنعّله :	التنعّل : لبس النعل، وهو الحذاء، والمراد به : كل ما وقيت به القدم من الأرض. والتيمّن في تنعّله : أن يبدأ بلبس النعل للرجل اليمنى.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب التيمّن في الوضوء والغسل ١/٢٦٩، برقم ١٦٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب التيمّن في الطهور وغيره ١/٢٢٦ برقم (٢٦٨). (٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٢/١٣٥، وتهذيب التهذيب ١٢/٤٣٣ . (٣) ينظر صحيح البخاري حديث رقم (٤٢٦)، وصحيح مسلم الموضع السابق.

ترجّله :	أي ترجيل شعره، والمراد : تسريحه، ودهنه، ويدخل فيه شعر الرأس واللحية. والتيمّن في ترجّله : أن يبدأ بالشق الأيمن من الرأس أو اللحية فيسرّحه وينظفه ويدهنه.
طهوره :	تُضبط هذه الكلمة بفتح الطاء وضمها. فعلى فتح الطاء : يكون المراد : ما يتطهر به من الماء والتراب. وبضم الطاء هو فعل الطهارة كالغسل والوضوء ونحوهما، وهو المراد في الحديث. والتيمّن في طُهوره : البداءة بميامن أعضائه، فيبدأ باليد اليمنى، والرجل اليمنى، في الوضوء. وفي الغسل يبدأ بالشق الأيمن من الجسم.
وفي شأنه كله :	المعنى أنه يبدأ باليمين في جميع شؤونه كلّها، والمراد جميع الأشياء المستحسنة، قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله : هو عام مخصوص؛ لأن دخول الخلاء والخروج من المسجد ونحوهما يبدأ فيهما باليسار[1].

الأحكام والتوجيهات

١ ـ في هذا الحديث بيانٌ لفضل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وبخاصة عائشة ـ رضي الله عنها ـ العالمة الفقيهة، التقية الورعة، حيث حرصت على تلقّي السنة النبوية ونشرها؛ لكي تطلِع الأمة على الأحوال الدقيقة للنبي ﷺ ليقتدوا به.

٢ ـ دلّ الحديث على استحباب التيامن فيما ذكر في الحديث، وما ذكر هنا من باب التمثيل فقط، وإلا فالضابط في ذلك أن كل ما كان من باب التكريم والزينة يبدأ باليمين، وما كان بخلافه يبدأ باليسار.

ومن أمثلة ما يبدأ باليسار أو تستعمل فيه اليسار : دخول دورة المياه، والخروج من المسجد، وخلع الثوب، والاستنجاء، وتنظيف الأنف، وما شابه ذلك.

(١) انظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام له ٩١/١ (شرح الحديث التاسع)، ونقله ابن حجر بتصرف يسير في فتح الباري (شرح الحديث المذكور)، ومنه نقلنا.

قال الإمام النووي : قاعدة الشرع المستمرة : أن كل ما كان من باب التكريم والتزيين استحب فيه التيمّن؛ وما كان بضدها استحِبّ فيه التياسر[1].

ومن أمثلة ما يبدأ باليمين أو تستعمل فيه اليمين ـ غير ما ذكر ـ : لبس الثوب، ودخول المسجد، وقص الشارب، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، والأكل والشرب، وأخذ الأشياء وإعطاؤها، والمصافحة، وغير ذلك.

٣ ـ ديننا الإسلامي دين كامل، أرشد الأمة إلى ما يصلح شأنهم، ويعلي مكانتهم، ويميزهم عن غيرهم، وينفعهم في دنياهم وآخرتهم، فما من خير إلا دلّ الأمة عليه، وما من شرّ إلا حذّرها منه.

٤ ـ على المؤمن أن يقتدي بالنبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وسلوكه وتصرّفاته، فهو ﷺ القدوة والأسوة، لكل مسلم.

٥ ـ في هذا الحديث الشريف يتبين شمول الشريعة الإسلامية لجميع شؤون الحياة، حتى هذه الأشياء التي قد لا يتنبه لها الإنسان يجد توجيهاً كريماً من الإسلام فيها.

فيؤجر المسلم عند عمله هذه الأعمال ما دام مرتبطا بشرع الله عز وجل ومقتدياً برسول الله ﷺ .

٦ ـ أُمر المسلم بأن يكون منظره حسناً، فقد كان الرسول ﷺ يتطهر ويتنظّف ويسرّح شعره ويدهنه، ولكن هذا لا يعني المبالغة في هذا الأمر بحيث يطغى على اهتماماته، فعليه بالتوازن، بمعنى أن يهتم في نظافته ولكن لا يبالغ ـ كما ذكر ـ حتى لا ينحرف إلى حدٍّ غير مرضيٍ.

الأسئلة

س١ : بيّن ما يستحب فيه التيامن أو التياسر فيما يلي :

تقليم الأظافر، لبس الثوب، تقديم الماء للضيوف، تقديم النقود للبائع، الخروج من المسجد.

س٢ : كيف تستنبط أن هذا الحديث يدل على شمول الشريعة الإسلامية لجميع شؤون الحياة ؟

س٣ : ما المراد بالترجّل ؟

(١) شرح النووي على مسلم ٣/١٦٠ بتصرف يسير، وانظر للاستزادة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي ٢١/١٠٨ ـ ١١٣ .

الحديث الرابع

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : «بعثنا رسول الله ﷺ وأمّر علينا أبا عبيدة، نتلقّى عيراً لقريش، وزوّدنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة، قال[١] : فقلت : كيف كنتم تصنعونَ بها ؟ قال : نمصّها كما يمص الصبيّ، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنّا نضرب بعصيّنا الخبط، ثم نبلّه بالماء فنأكله، قال : وانطلقنا على ساحل البحر، فرُفِع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه، فإذا هي دابة تُدعى العنبر، قال : قال أبو عبيدة : ميتة، ثم قال : لا، بل نحن رُسُل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال : فأقمنا عليه شهراً، ونحن ثلاثمائة، حتى سَمِنَّا، قال : ولقد رأيتنا نغترف من وَقْب عينه بالقلال الدُّهن، ونقتطع منه الفِدَر كالثّور، أو كقدر الثور، فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وَقْبِ عينه، وأخذ ضلعاً من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمرّ من تحتها، وتزوّدنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال : «هو رزقٌ أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ؟» قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله» متفق عليه[٢].

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري، له ولأبيه صحبة، شهد مع أبيه بيعة العقبة الأخيرة، وكان أبوه أحد النقباء في البيعة، شهد مشاهد كثيرة مع رسول الله ﷺ، يقول ـ رضي الله عنه ـ: غزوت

(١) القائل هو : أبو الزبير المكي راوي الحديث عن جابر.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة سيف البحر، ٨/٧٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ميتات البحر ٣/١٥٣٥ رقم (١٩٣٥)، واللفظ لمسلم.

مع رسول اللّٰه ﷺ تسع عشرة غزوة.

وهو أحد المكثرين لرواية الحديث عن رسول اللّٰه ﷺ، وكانت له حلْقة في المسجد النبوي يجتمع الناس فيها ليأخذوا عنه العلم، وقد كان ـ رضي الله عنه ـ من المعمَّرين، فهو من أواخر الصحابة الذين ماتوا بالمدينة، توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ثمان وسبعين، وعاش أربعاً وتسعين سنة[1].

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
بعثنا رسول اللّه ﷺ :	أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، والمراد هنا : أرسلَنا في جيش صغير لنقوم بمهمة معينة.
أمّر علينا أبا عبيدة :	أي جعل علينا أبا عبيدة أميراً.
وأبو عبيدة هو :	عامر بن عبدالله بن الجرّاح القرشي، مشهور بكنيته، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها، سماه الرسول ﷺ أمين هذه الأمة، وكان قائداً، حكيماً شجاعاً، مات ـ رضي الله عنه ـ بالشام سنة ثمان عشرة من الهجرة، وعاش ثمان وخمسين سنة[2].
نتلقى عِيرًا لقريش :	العير هي الإبل التي تحمل المتاع، والمراد هنا : نتصدى لهذه العير حتى نستولي عليها.
وزوّدنا جِرابا من تمر :	الجراب هو الوعاء : ويضبط بكسر الجيم وفتحها، والكسر أفصح.
الخَبَط :	بفتح الخاء والباء : الورق الساقط من الشجر عند ضربها، والمراد يضربون بالعصي الشجر؛ ليسقط ورقها.
فرفع لنا على ساحل البحر :	أي : ارتفع فوق ساحل البحر.

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣/١٨٩، وتهذيب التهذيب ٢/٤٢ .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ١/٥ .

الكـثـيـب :	الرمل المستطيل المحدَودِب.
دابــة :	تطلق في اللغة على : كل ما يدبّ على وجه الأرض، أي : يمشي مشياً خفيفاً، وغلب استعمالها عرفاً على ذوات الأربع.
العـنـبـر :	سمكة بحرية كبيرة، ويطلق العنبر على الطِّيب المعروف؛ لأنه روث دابة بحرية.
فقـال أبو عبيـدة : ميـتـة :	يعني فلا يجوز أكلها، ثم نظر في حال قومه فوجدهم مضطرين، فأمرهم بالأكل منها.
مـن وَقْـب عينـه :	الوَقْب : بفتح الواو وإسكان القاف، وهو النقرة التي فيها العين.
بالقـلال :	بكسر القاف وضمّها، جمع قُلّة، وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه، أي : يحملها.
الـفِـدَر :	بكسر الفاء وفتح الدال : القطَع، جمع فِدْرَة، يعني : قطعة.
كـالثـور أو قَـدْر الثـور :	أي : مثل الثور في ضخامتها.
ثم رحَـل أعظـم بعير معنـا :	أي جعل عَليه رحلاً، والرحل ما يوضع على ظهر البعير للركوب.
وتزوّدنـا من لحمـه :	أي : أخذنا معنا زاداً من لحمه.
وشـائـق :	بالشين والقاف، وهو اللحم يؤخذ فيُغلَى قليلا ولا يُنضج، ويُحمل في الأسفار، وقيل : الوشائق جمع وشيقة، وهي القديد[1].

الأحكام والتوجيهات

١ ـ حياة الرسول ﷺ وأصحابه الكرام قائمة على الزهد في الدنيا والتقلل منها، والصبر على الجوع، وخشونة العيش، ألا ترى كيف يوزّع أبو عبيدة ـ رضي الله عنه ـ التمر تمرة تمرة، ويعبّر جابر ـ رضي الله عنه ـ عن قلة ذلك

(١) القديد : اللحم يقطع ثم يملح ويجفف في الشمس. انظر تاج العروس مادة (قدّ).

التمر وعدم كفايته، فيقول: «نمصّها كما يمص الصبيّ».

٢ ـ الحرص على الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه، وأن قِلّة النفقة أو الزاد لا تمنع من ذلك.

٣ ـ التعاون في أمور الخير مطلب عظيم، له ثمار عظيمة، وآثار إيجابية، وبركة على المتعاونين، حثّ عليه الإسلام، وأرشد إليه الرسول ﷺ، وطبّقه هو وأصحابه رضي الله عنهم، فكثر خيرهم، وزادت بركة أموالهم، ومن هنا ينبغي أن يحرص المسلم على التعاون في أبواب الخير كلها حتى تحصل له ثمرته.

٤ ـ يدعو الإسلام إلى حفظ كرامة المسلم، ويحثه على جمع المال من عمل يده، وأن يتعفف به عن السؤال، فيرتفع عن مذلة المسألة، روى البخاري وغيره، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله، أعطاه أو منعه)[1].

هذا هو الأصل في المسلم، ولكن إذا كان السؤال يجلب وُدّاً ومحبة ومؤانسة وملاطفة فهذا أمر مستحسن، بل هو مطلوب، لما يجلبه من الأنس والمحبة، كما فعل الرسول ﷺ مع أبي عبيدة وصحبه.

٥ ـ يدل الحديث على إباحة ميتة البحر، ماتت بنفسها أو ماتت بالاصطياد، وهذا قول جمهور أهل العلم، معتمدين على هذا الحديث، وعلى قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ ...﴾ الآية[2].

٦ ـ السفر من الأعمال التي تحتاج إلى تنظيم وترتيب وخُلُق كريم وتحمّل، ومما تكثر فيه الآراء وتتعدد وجهات النظر، ولأهميته شرع الإسلام الإمارة فيه لمن كانوا ثلاثة أو أكثر، ولذلك أمّر رسول الله ﷺ أبا عبيدة على هذه السرِية، ومن المعلوم أن حق الأمير الطاعة في المعروف، والتنفيذ لأوامره، والانقياد لتوجيهاته ما لم يكن في معصية الله عز وجل، لذلك حينما منعهم أبو عبيدة امتنعوا وحينما أمرهم بالأكل من الحوت أكلوا منه.

٧ ـ من صفات المؤمنين الصادقين: الصبر والمصابرة لفعل الخير وترك الشر، وعلى ما يقَدِّر الله تعالى من المصائب، وهذه السَرِيّة التي تمتعت بهذا الخلق النبيل كافأها الله تعالى بهذا الحوت العظيم، وفي الآخرة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة ـ باب الاستعفاف عن المسألة ٣/ ٣٣٥ .

(٢) الآية ٩٦ من سورة المائدة.

ما هو خير وأبقى، ويكفي إشارة إلى التحلي بهذا الخلق أنه ورد في القرآن الكريم في أكثر من تسعين موضعاً.

٨ ـ دل الحديث على اجتهاد الصحابة ـ رضي اللّٰه عنهم ـ في القضايا التي تمرّ عليهم ولم يتمكنوا فيها من الرجوع إلى الرسول ﷺ، فأبو عبيدة اجتهد في أكل الحوت، ثم أقرّه الرسول ﷺ على اجتهاده، وزاد من تطييب نفوسهم أن طلب من لحمه ليأكل.

الأسئلـة

س١ : وضّح معنى الكلمات الآتية :

العير، الجراب، الخبط، وقب عينه.

س٢ : (الصبر خلق نبيل)، تحدث عن ذلك من خلال دراستك لهذا الحديث.

س٣ : (طاعة الأمير في المعروف واجبة)، بيّن ثمار تلك الطاعة من خلال دراستك للحديث.

س٤ : العمل والإنتاج من أهم ما يريده الإسلام من أبنائه، كيف تستنبط هذه الفائدة من الحديث ؟

س٥ : من راوي الحديث ؟ وماذا تعرف عنه ؟

ثانياً : الثقافة الإسلامية

صورٌ من حرص النبي ﷺ على الدعوة

أهمية الدعوة إلى الله تعالى

إن مهمة النبي ﷺ ـ كغيره من الأنبياء ـ هي دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى، وبهذا أمره الله تعالى في آيات كثيرة، فقال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾[1]، وجعل الدعوة سبيله، وسبيل أتباعه، فقال: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[2].

وبهذا تتبين لنا أهمية الدعوة إلى الله؛ بأنها هي الطريق إلى تعبيد الناس لله عز وجل.

حكم الدعوة إلى الله تعالى

الدعوة إلى الله تعالى فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وتكون فرض عين في بعض الأحوال، وعلى بعض الأشخاص، كرَبّ الأسرة مثلا، يجب عليه (عَينًا) أن يرشد أسرته للخير، وينهاهم عن الشر، وكالذي لا يوجد في موضعه شخص قادر على الدعوة غيرُه، فهي واجبة عليه (عينًا).

فضلها

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

وقال ﷺ لعلي ـ رضي الله عنه ـ: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[4].

وقال أيضاً: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[5].

وقال: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله»[6].

(١) آية ١٢٥ من سورة النحل.
(٢) آية ١٠٨ من سورة يوسف.
(٣) آية ٣٣ من سورة فصلت.
(٤) تقدم تخريجه في الحديث الأول ص ١٢ .
(٥) رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ح (٢٦٧٤).
(٦) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي ح (١٨٩٣).

١ ـ الجهر بالدعوة :

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[١]. خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف : «يا صباحاه»، فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه، فقال : «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدّقيّ ؟» قالوا : ما جرّبنا عليك كذباً، قال : «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، قال أبو لهب : تَبّاً لك، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام، فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[٢][٣].

٢ ـ الدعوة في المواسم :

كانت القبائل تأتي إلى مكة في موسم الحج، فكان رسول الله ﷺ يتبعهم في منازلهم بعكاظ، ومجنّة، وذي المجاز، وكان يقول لهم :

- «أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».
- «من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة».
- «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل».

وكان عمه أبو لهب يمشي خلفه ويصيح : لا يغرنكم هذا من دينكم ودين آبائكم، ويقول إنه : صابئ كاذب.

وكان بعض الناس ربما اجتمعوا وازدحموا عليه ولا يقولون شيئاً، وبعضهم ربما سأله عن دينه ما هو، ولكنه لم يستجب، وبعضهم ربما ردّه ردّاً قبيحاً، وقال قومه أعلم به.

ومع كل هذا فلم ييأس رسول الله ﷺ، بل كان يكرر دعوتهم في كل موسم أكثر من عشر سنين، حتى لقيه الأنصار فآمنوا به، واتبعوه ونصروه رضي الله تعالى عنهم[٤].

---

(١) آية ٢١٤ من سورة الشعراء. (٢) آية ١ من سورة المسد. (٣) رواه البخاري في مواضع، منها : كتاب التفسير، سورة تبت ح (٤٩٧١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب من مات كافراً ح (٢٠٨)، وله ألفاظ وروايات، ومن حديث أبي هريرة بمعناه مع زيادات في البخاري رقم (٤٧٧١)، ومسلم رقم (٢٠٤) وما بعده. وقوله : «يا صباحاه» كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم، فيقولها المنادي ليجتمعوا ويتأهبوا له. (٤) مجموع من عدة أخبار وروايات، انظر فيها وفي تخريجها مفصلاً كتاب : «السيرة النبوية الصحيحة» للدكتور / أكرم ضياء العمري، ١/١٩٣ ، ١٩٤، وللزيادة ينظر : كتاب حياة الصحابة، للكاندهلوي، المجلد الأول.

٣ ـ الدعوة عن طريق الرسائل :

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبّار، يدعوهم إلى الله تعالى، قال : وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ[١].

وكان في كتابه إلى هرقل (قيصر الروم) : «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، وإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيين»[٢] و: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾[٣].

٤ ـ الدعوة بالمال :

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال : يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة.

وفي رواية فقال أنس ـ رضي الله عنه ـ : إنْ كان الرجل لَيسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها[٤].

وعن ابن شهاب الزهري قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ـ فتح مكة ـ ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النَّعم، ثم مائة، ثم مائة.

قال ابن شهاب : حدثني سعيد بن المسيّب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب كُتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار ح (١٧٧٤).

(٢) الأريسيين : جمع أريسي وهو الفلاح، والمراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً لك؛ لأن الأصاغر أتباع الأكابر.

(٣) آية ٦٤ من سورة آل عمران.

والحديث رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب رقم (٦)، ح(٧)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ح (١٧٧٣).

وللإستزادة انظر : زاد المعاد لابن القيم ٣/٦٨٨ في هدي الرسول ﷺ في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم.

(٤) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب سخائه ﷺ ح (٢٣١٢).

وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ[1].

الأسئلة

س١ : لماذا كانت الدعوة إلى الله تعالى من أهم الأمور ؟ ثم اذكر فضلها بالأدلة.

س٢ : من وسائل الدعوة : الدعوة بالمال، اذكر ما يدلّ على ذلك من سيرة النبي ﷺ.

س٣ : ما الأمور التي كان النبي ﷺ يعرضها على القبائل في المواسم ؟

س٤ : صدّ كفّار قريش رسول الله ﷺ عن تبليغ دعوة الله، فلماذا ؟

س٥ : اذكر ثلاث صورٍ أخرى للدعوة إلى الله تعرفها غير ما ذكر.

س٦ : بين أخص ما يمكن أن يقوم به من صور الدعوة إلى الله كلاً مما يلي : التاجر المسلم، الكاتب، العامل.

س٧ : عَدِّد ثلاث صورٍ للدعوة إلى الله يمكن أن تقوم بها.

(١) رواه مسلم، الموضع السابق، ح (٢٣١٣).

أولاً : حقّ اللّه تعالى

عندما نتحدث عن حق اللّه تعالى علينا، لا بد أن نستحضر عظمة اللّه، وأنه خالقنا ورازقنا، وأن كل شيء بيده، وكل خير وعطاء فهو منه، وكل نعمة فهو الممتنّ بها، فكلنا في الحقيقة ملك له، فقراء إليه، ليس بنا غنًى عنه، افترض فرائضه، وحدَّ حدوده، وعَرَّفَنا حقه علينا رحمة بنا، من غير احتياج منه لنا، فحقّه علينا أعظم حق تجب معرفته، ويلزم القيام به، فمن ذلك :

١ ـ الإيمان بربوبيته، وأنه الخالق الرازق، المحيي المميت، ويتضمن ذلك أيضاً الإيمان بأسمائه وصفاته على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تأويل ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل[١].

٢ ـ العبـــادة :

وهي أعظم حقّ للّه تعالى، بل كل الحقوق داخلة في معناها، وهي : توحيد الألوهية، وهي الغاية من خلق الجن والإنس، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢]، وقال ﷺ : «حقّ اللّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»[٣].

والعبـادة فـي اللغـة : التذلل والخضوع.

وفي الشــرع : اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[٤].

قال ابن تيمية : فالدين كله داخل في العبادة[٥].

(١) وهذا مفصّل في كتاب التوحيد، للصف الأول الثانوي.
(٢) آية ٥٦ من سورة الذاريات.
(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار ٦/ ٥٨، ح (٢٨٥٦)، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ١/ ٥٨ ح (٣٠).
(٤) العبودية، لابن تيمية ص ٣٨ .
(٥) العبودية، ص ٤٣ .

٣ ـ المحبة :

ومحبة اللّه أرفع المحابّ وأرجاها وأنفعها، فلا يصح إيمان العبد إلا بها، ولا تستقيم نفسه إلا بسلوك طريقها، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[١].

وقال ﷺ : «ثلاثٌ من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما...»[٢].

المحبة الحقيقية : هي التي تدفع صاحبها للعمل بما يرضي ربه، فمن كان مجانباً لما يرضيه، مقارفاً لما يسخطه، فليس بمحبّ له في الحقيقة، بل هو مدَّع كاذب، أو غرٌّ جاهل، فليراجع نفسه، وليفتش قلبه، فإن علامة صدق هذه المحبة : الاتباع، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ...﴾الآية[٣].

وثمرتها : محبة اللّه تعالى للعبد، ومغفرة ذنوبه، كما في قوله تعالى: ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ...﴾الآية[٣].

ووسائل تقويتها : الطاعة، واستشعار المعية الدائمة، وكثرة الذكر، وتلاوة القرآن، ومجالسة الذاكرين، ومفارقة الغافلين، وكثرة الدعاء والتضرع، واستشعار نِعَمه وآلائه، والتفكر في مخلوقاته.

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللّه تعالى : ومحبة العبد للّه تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته[٤].

٤ ـ الخوف :

وليس الخوف كلمة تقال باللسان، بل هو شعور في القلب، يجعل صاحبه حذراً مما يخافه، فمن خاف اللّه اتقاه، فالمؤمن يخاف اللّه ويخشاه، ويخاف عذابه، فهو يحذر مما يسبب غضب اللّه عليه، ومن خاف اليوم أمن غدًا، قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾الآية[٥]، وقال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[٦].

٩ ـ عاقبة

٩ ـ عاقبة

(١) آية ١٦٥ من سورة البقرة.
(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ٦٠/ ١ ح (١٦).
(٣) آية ٣١ من سورة آل عمران.
(٤) فتح الباري ٦١/ ١، شرح الحديث رقم (١٦).
(٥) آية ٤٦ من سورة الرحمن.
(٦) آية ٤٠ ـ ٤١ من سورة النازعات.

قال الحسن البصري رحمه الله : إن المؤمن جمع إحساناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنًا[1].

قال ابن القيّم رحمه الله : والخوف المحمود الصادق : ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل[1].

٥ ـ الرجــاء :

وهو التطلّع إلى رحمة الله تعالى وفضله، وهو ثلاثة أنواع :

(أ) رجاءٌ من شخص عَمِل بطاعة الله تعالى فهو يرجو ثوابها.

(ب) رجاءٌ من شخصٍ أذنب ذنوباً، ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله وعفوه. وهذان محمودان.

(جـ) رجاءٌ من شخصٍ متمادٍ في التفريط وكسب الخطايا، فهو يرجو رحمة الله بلا عمل، وهذا غرور ورجاء كاذب، وهو في الحقيقة تمنٍّ لا رجاء، لهذا فرّق العلماء بين التمني والرجاء، وأجمعوا أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل[2].

قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[3].

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

وينبغي أن يكون المؤمن خائفاً من الله تعالى دائماً، راجياً إيّاه، فإن غلب عليه أحدهما خيف عليه، فإن غلب عليه الرجاء خيف عليه التهاون والفساد، وإن غلب عليه الخوف خيف عليه اليأس والقنوط، قال تعالى : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[5].

---

(١) مدارج السالكين، منزلة الخوف، ١/ ٥٤٩ ـ ٥٥١ . وانظر شرح الطحاوية، عند قول الطحاوي : (الأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام) ص ٣١٢ ـ ٣١٣ .

(٢) مدارج السالكين، منزلة الرجاء، ٢/ ٣٧ . وانظر شرح الطحاوية، عند قول الطحاوي : (ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ...) ص ٣٠٦ ـ ٣١٢ .

(٣) آية ١١٠ من سورة الكهف.

(٤) آية ٢١٨ من سورة البقرة.

(٥) آية ٤٩ ، ٥٠ من سورة الحجر.

وقال تعالى في وصف بعض عباده: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ...﴾ الآية[1].

وقال ﷺ: «لو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»[2].

٦ ـ الشكر:

قد أمر الله تعالى بشكره، ونهى عن ضده، فقال: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[3].

وليس الشكر مجرد النطق باللسان، بل الشكر واجب بالقلب، واللسان، والجوارح.

فحقيقة الشكر: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده بالثناء والاعتراف، وعلى قلبه بالمحبة ونحوها، وعلى جوارحه بالانقياد والطاعة، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[4].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمه، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره[5].

ثانياً: حقّ الرسول ﷺ[6]

حين نتحدث عن حق المصطفى ﷺ فإننا لا نتحدث عن شخص كسائر البشر، بل هو أفضل مَن خَلَقه الله، وهو المبلِّغ عن الله، وصاحب المنزلة الرفيعة والمقام المحمود[7]، هو سيد ولد آدم، وهو الذي ببعثته سُدَّت جميع الأبواب إلى الجنة إلا بابُه، وكل الطرق الموصلة إلى الله إلا طريقُه، فمن اتبعه اهتدى، ومن تنكب عن طريقه ضلَّ وغوى، فله علينا حقوق تلزم مراعاتها، منها:

(١) آية ٥٧ من سورة الإسراء.
(٢) رواه البخاري في الرقاق، باب الرجاء مع الخوف رقم (٦٤٦٩)، واللفظ له، ومسلم في التوبة في باب سعة رحمة الله ٤/ ٢١٠٩ رقم (٢٧٥٥).
(٣) آية ١٥٢ من سورة البقرة.
(٤) آية ١٣ من سورة سبأ.
(٥) مدارج السالكين، منزلة الشكر ٢/ ٢٥٤.
(٦) للتوسع، انظر كتاب: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله تعالى.
(٧) المقام المحمود هو الشفاعة الكبرى للنبي ﷺ، انظر تفسير الآية ٧٩ من سورة الإسراء تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وفتح الباري شرح الحديث رقم (٦١٤) و(٤٧١٨، ٤٧١٩) و(٦٥٥٨) في الرقاق باب صفة الجنة والنار شرح الحديث الحادي عشر وهو أوسع المواضع.

١ ـ **الإيمان** بأنه رسول من عند اللّه تعالى أرسله اللّه تعالى للبشر كافة نذيراً وبشيراً وهادياً إلى اللّه وسراجاً منيراً، وأنه خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ } الآية[١]، وقال تعالى : { مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ }[٢].

٢ ـ **محبته** ﷺ : فمن حقه ﷺ علينا أن نحبه أكثر مما نحب أنفسنا، فضلاً عن آبائنا، وأمهاتنا، وأولادنا، وهذه المحبة دين ندين اللّه تعالى به، نشعر بها داخل قلوبنا، ونرى آثارها في سلوكنا.

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»[٣].

وعن عبداللّه بن هشام ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فقال له عمر : يا رسول اللّه، لأَنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ : «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر : فإنه الآن واللّه لأنت أحبّ إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ : «الآن يا عمر»[٤].

وهذه منزلة عظيمة لا يبلغها إلا الصادقون، وأنت إذا تأملت ذلك عرفت السبب الذي لأجله كان رسول اللّه ﷺ بهذه المثابة، وذلك أنه هو السبب في نجاة نفسك من المهلكات في الدنيا والآخرة[٥].

وسبيل تنمية هذه المحبة : استشعار ما قدّمه الرسول ﷺ وأوصله لنا من الخير العظيم، وطاعته، ومتابعته، والاقتداء به، وكثرة ذكره، والصلاة عليه، والاستشهاد بأقواله وأفعاله، وإدمان المطالعة في سيرته، فمَن لا يعرف عنه إلا اسمه كيف يحبه ؟! والمطالعة في سيرة أصحابه، وكيف كانت محبتهم له، ومعاملتهم معه، وهذه من أحسن الوسائل لزيادة محبته.

---

(١) آية ١٤٤ من سورة آل عمران.
(٢) آية ٤٠ من سورة الأحزاب.
(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب : حب الرسول ﷺ من الإيمان ١/ ٥٨ ح (١٥).
(٤) رواه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ١١/ ٥٢٣ ح (٦٦٣٢).
(٥) ينظر : فتح الباري ١١/ ٥٢٨، في الإيمان والنذور، باب (٣)، و١/ ٥٩ شرح حديث (١٥).

٣ ـ طاعته واتّباعه :

فطاعته : امتثال أمره، واجتناب نهيه، فأمره ونهيه حجة على كل من بلغه ذلك، لا يجوز له التأخر ولا التواني عن الاستجابة له، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ الآية[1].

ومن اتّباعه : الاقتداء به في عبادته، وسلوكه، وفي كل عمله ﷺ، مما هو داخل في حكم الواجب والمستحب، فالرسول ﷺ قدوة لنا في كل مجال يقرّب إلى الله تعالى، قال تعالى : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[2].

وقد اهتم الأئمة بجمع أحوال النبي ﷺ وأوصافه وأخلاقه، ومن أحسن ما ترى في هذا كتاب : (زاد المعاد في هدي خير العباد) للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى.

٤ ـ الصلاة والسلام عليه :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[3].

وهي واجبة في الصلاة، وعند ذكره، ومشروعة في مواضع كثيرة، منها : في الصباح، والمساء، وفي كل مجلس، وبعد الأذان، ويستحب الإكثار منها يوم الجمعة.

وفي فضلها قال ﷺ : «من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشرا»[4].

وفي ذمّ تاركها قال ﷺ : «البخيل من ذُكرت عنده فلم يُصَلّ عليّ»[5].

---

(١) آية ٢٤ من سورة الأنفال.

(٢) آية ٢١ من سورة الأحزاب.

(٣) آية ٥٦ من سورة الأحزاب.

(٤) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ ١/ ٣٠٦ ح (٤٠٨).

(٥) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ : رغم أنف رجل ٥/ ٥١٥، ح (٣٥٤٦)، وأحمد ١/ ٢٠١، والنسائي في : «اليوم والليلة» (٥٦)، وصححه ابن حبان ٣/ ١٨٩، ١٩٠، ورواه غيرهم، وقال الحافظ ابن حجر : لا يقصر عن درجة الحسن. (فتح الباري ١١/ ١٦٨، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ) قال السخاوي في القول البديع ص ١٤٢ : وبالجملة فلا يقصر الحديث عن درجة الحسن.

٥ ـ نشر سنته ﷺ والذبّ عنها، والدعوة إليها :

وهذا من حقوقه ﷺ العظيمة إذ أن هديه وسنته المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وبها كمل الدين، وأتمت النعمة، وبنشرها ينتشر الدين في الأرض، ويعم الخير ويندحر الشر وأهله قال ﷺ : «نضّر اللّه امرأً سمع مقالتي فحملها إلى غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل للّه، والنصيحة لأئمة المسلمين ولزوم الجماعة..» الحديث[١].

٦ ـ محبة أصحابه، وتوقيرهم :

فمحبتهم واجبة، وسبهم زندقة[٢]، فهم حَملة الدين، وأصحاب سيد المرسلين، وهم خير الناس بعد النبيين، قال ﷺ : «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٣].

ولا يجوز لأحد أن يذكرهم بذمٍّ، أو يطعن على أحد منهم بعيبٍ أو نقص.

الأسئلة

س١ : ما المحبة الحقيقية للّه تعالى ؟ وما علامة صدقها ؟ وما ثمرتها ؟

س٢ : ما الرجاء ؟ وما أنواعه ؟ مع بيان المحمود منه والمذموم. وماذا يسمَّى المذموم منه ؟

س٣ : ما حقيقة الشكر ؟ وما قواعده ؟ ثم اذكر الدليل على أن الشكر يكون بالعمل.

س٤ : اذكر ما تستطيعه من وسائل تنمية محبة الرسول ﷺ.

س٥ : عدّد خمسةً من المواضع التي يشرع فيها الصلاة على النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في ١٨٣/ ٥ وأبو داود في سننه في كتاب العلم، باب فضل نشر العلم في ٤٣٨/ ٣، والترمذي في سننه في كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع في ٣٣/ ٥ والحديث صحيح بمجموع طرقه وقد أوصله بعضهم إلى حد التواتر.

(٢) انظر : الصارم المسلول، لابن تيمية ص ٥٦٧ وما بعدها.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ٢١/ ٧ ، رقم (٣٦٧٣).

عندما نتحدث عن القرآن، فلا بد أن نستشعر أنه ليس كلام بشر، بل هو كلام الله، المنزّل على محمد ﷺ، المتعبّد بتلاوته، الذي أعجز البشر أن يأتوا بمثله، بل ولا بسورة من مثله، أُنزل ليكون منهاج حياتنا، وطريق عزّنا، وسبيل رفعتنا ومجدنا، إن تمسّكنا به هُدِينا ونُصرنا، وإن فرّطنا فيه خُذِلنا وهُزِمنا.

خصائص القرآن

للقرآن خصائص كثيرة، منها :

١ ـ **أنه محفوظ من التحريف والضياع، والزيادة والنقصان**، وذلك لأن الله تعالى تولّى حفظه بنفسه، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ ﴾[١]، فهيّأ له أسبابا للحفظ، منها :

(أ) الأمة المعتادة على الحفظ، فقد كان الحفظ معروفا في العرب، فهم يحفظون القصائد الطوال حين يسمعونها لأول مرة، ويحفظون الخطب الطويلة كذلك.

(ب) هيّأ له علماء حفاظاً مجتهدين في حفظه، ويعلّمونه أولادهم وتلاميذهم، ويتدارسونه، ويكتبونه وينقله الآخر عن الأول بالأسانيد المتّصلة، ولذلك تجد أئمة القراء كثير، من عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن بعدهم إلى عصرنا هذا.

(جـ) جعله سهلاً ميسَّرًا للحفظ.

وأنت ترى حفّاظ القرآن الكريم في العالم بالآلاف بل أكثر، في حين أنك لا ترى أحدًا من المنتمين للأديان الأخرى يحفظ الكتاب المقدس عندهم.

ولم يتوَلَّ الله تعالى حفظ الكتب السابقة، بل وَكَلها لأصحابها، كما قال تعالى : ﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ ... ﴾ الآية[٢].

(١) الآية ٩ من سورة الحجر. (٢) الآية ٤٤ من سورة المائدة.

من الحِكَم في حفظ القرآن الكريم :

(أ) أنه آخر كتاب يحمل آخر رسالة تبقى إلى قيام الساعة.

(ب) أنه المعجزة الكبرى للرسول ﷺ، فهو معجزة باقية للأجيال، قال ﷺ : «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمَن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1].

٢ ـ أنه خاتم الكتب السماوية والمهيمن عليها :

قال تعالى : { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ }[2]، والمعنى أنه شامل لما فيها وزائد عليها وشاهد وحاكم عليها، فما وافقه مما فيها فهو حق، وما خالفه فهو إما منسوخ أو باطل باعتباره محرفًا، وهو حافظ لما فيها من أصول الشرائع، وعالٍ عليها وغالب، وناسخ لغير المحكم فيها، فهو أكمل الكتب السماوية وخاتمها[3].

٣ ـ إعجازه والتحدي به :

قال تعالى : { قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ }[4].

٤ ـ أن بكل حرف منه حسنة :

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «الم» حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولام حرف، وميم حرف»[5].

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأوّل ما نزل (٤٩٨١)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ ونسخ الملل بملته ١/ ١٣٤ رقم : (١٥٢).

(٢) آية ٤٨ من سورة المائدة.

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير، وتفسير الشوكاني، والسعدي (عند الآية المذكورة).

(٤) آية ٨٨ من سورة الإسراء.

(٥) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر. حديث رقم (٢٩١٠)، وقال : حديث حسن صحيح.

٥ ـ تيسيره وسهولته، فحفظه سهل، وقراءته سهلة يسيرة، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

٦ ـ جمال نظمه وبلاغته. وعظمة أسلوبه فهو يورد المعاني الكبيرة بعبارات موجزة.

٧ ـ عدم الملل من تكرار تلاوته وترديده.

هجر القرآن

وقبل أن نتعرف على حقّ القرآن الكريم، فإن علينا أن نعرف معنى هجره، لنحذره ونجتنبه، فإن رسول الله ﷺ قد اشتكى إلى ربه من هجر قومه للقرآن، فقال فيما ذكر الله تعالى عنه : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

وهجر القرآن أنواع[3]، منها :

١ ـ هجر الإيمان به وتصديق ما فيه.

٢ ـ هجر سماعه والإصغاء إليه.

٣ ـ هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه.

٤ ـ هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.

٥ ـ هجر تدبّره وفهمه.

٦ ـ هجر الاستشفاء والتداوي به.

٧ ـ هجر قراءته والعدول عنه إلى غيره من شعر، أو قولٍ أو غناء.

من حق القرآن

١ ـ **الإيمان به**، وبكل ما جاء فيه وأنه كلام الله المنزّل على رسوله ﷺ، والإيمان بأنه محفوظ لا يتطرق إليك أدنى شك في ذلك، قال تعالى : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَٰبِ الَّذِي نَزَّلَ

---

(١) آية ١٧ من سورة القمر.

(٢) آية ٣٠ من سورة الفرقان.

(٣) انظر : الفوائد، لابن قيم ص ٨٢، وتفسير ابن كثير آية ٣٠ من سورة الفرقان.

﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[1].

والإيمان به من أركان الإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام[2].

٢ ـ قراءته وحفظه :

قال ﷺ : «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[3].

وقال أيضاً : «يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[4].

وينبغي أن يرتل القارئ ويجوده كما أمر الله تعالى بذلك، فقال : ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾[5].

وينبغي أن يكون للمسلم وِرْدٌ يوميّ يتلو فيه كتاب الله تعالى حتى يختمه، وليحرص أن يختمه كل شهر مرة أو أكثر[6]، ولا ينشغل عن قراءته بما لا ينفع.

وليحرص المسلم على حفظه، أو حفظ ما تيسر منه، قال تعالى واصفًا القرآن : ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾[7]، فوصف الحفاظ بأنهم من أهل العلم، وحفظه سُنّة أئمة الدين، من الصحابة والتابعين، ومَن بعدهم إلى يومنا هذا.

وليحرص المسلم على ترديد ما حفظ من القرآن في قيامه وقعوده، وذهابه وإيابه، فإن ذلك أعظم لأجره، وأكثر لحسناته، قال ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين : رجل علّمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار..»[8].

---

(١) آية ١٣٦ من سورة النساء. (٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ح (٨٠٤).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ح (١٤٦٤)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب رقم (١٨) ح(٢٩١٤)، وقال الترمذي، حسن صحيح، ورواه أحمد ٢/ ١٩٢، وصححه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي، المستدرك ١/ ٥٥٢.

(٥) آية ٤ من سورة المزّمل.

(٦) والدليل قول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص «واقرأ القرآن في كل شهر» قال قلت : يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذلك قال «فاقرأ في كل عشرين» قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال «فاقرأه في كل سبع، ولا تزد على ذلك» رواه مسلم كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر..، ٢/ ٨١٣ ح ١٨٢ .

(٧) آية ٤٩ من سورة العنكبوت. (٨) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن ح (٥٠٢٦).

وينبغي للحافظ مراجعته وتعاهد قراءته حتى لا يتفلت منه، قال ﷺ : «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشدّ تفلّتا من الإبل في عقلها»[1].

والعُقُل : جمع عقال، وهو ما يربط به البعير.

٣ ـ العمـل بـه :

قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾[2].

وقال : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[3].

وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه أول من يعمل بالقرآن، سئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن خلق رسول الله ﷺ فقالت للسائل : ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى، قالت : فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن[4].

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن[5].

وقال أبو عبدالرحمن السلمي (عبدالله بن حبيب) : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا : أنهم كانوا يستقرؤون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بها فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً[6].

٤ ـ تعلّمه وتعليمه :

عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»[7].

فينبغي أن يحرص المسلم على تعلّمه وإتقان قراءته، ويجتهد في ذلك، فمِن غير اللائق لمسلم له سنوات

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده ح (٥٠٣٣)، ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن، ح (٧٩١).
(٢) آية ٥٥ من سورة الزمر.
(٣) آية ١٥٥ من سورة الأنعام.
(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ١/ ٥١٣ رقم (٧٤٦).
(٥) رواه الطبري في مقدمة التفسير ١/ ٨٠، قال أحمد شاكر عن إسناده : صحيح.
(٦) تفسير الطبري ١/ ٨٠، وصححه أحمد شاكر، وانظر : سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٩ ، ٢٧١ ، وطبقات ابن سعد ٦/ ١٧٢ .
(٧) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب : خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه ح (٥٠٢٧).

طويلة وهو يدرس ويتعلم، ثم إذا قرأ القرآن فإذا به لا يقيم حروفه وكلماته، وليس حاله كحال من يعذر لضعف تعليمه.

ومن وسائل تعلّمه وإتقانه : قراءته على أحد المقرئين، وكثرة الاستماع إليهم، واستشعار أنه كلام الخالق جلّ وعلا، وغير ذلك.

٥ ـ تدبّره وتفهّمه، والخشوع والبكاء عند قراءته :

قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾[١]، وقال سبحانه : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴿١٧﴾ ﴾[٢]، وقال سبحانه : ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[٣].

فالأولى أن يقرأ على تمهّل وتفهم، فإن القرآن كتاب هداية، وكيف يهتدي به من لا يفهمه، وإن أشكل عليه شيء رجع لتفسيره، وليجمع همّته عند القراءة حتى يستحضر ذلك بقلبه، ويتأمل ما فيه من آيات التهديد والوعيد، والرجاء والرحمة، وأحوال الماضين، وغير ذلك.

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : قال لي النبي ﷺ : «اقرأ عليّ»، قلت : يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : «نعم»، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴿٤١﴾ ﴾[٤]، قال : «حسبك الآن» فالتفتّ فإذا عيناه تذرفان[٥].

٦ ـ الإنصات عند سماعه :

قال تعالى : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴿٢٠٤﴾ ﴾[٦].

والآية تدل بعمومها على مشروعية الاستماع للقرآن إذا تُلي، والإنصات، وهو : السكوت عند

(١) آية ٢٤ من سورة محمد.
(٢) آية ١٧ من سورة القمر.
(٣) آية ١٠٩ من سورة الإسراء.
(٤) آية ٤١ من سورة النساء.
(٥) رواه البخاري في مواضع، منها في : كتاب فضائل القرآن، ح (٥٠٥٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن ح (٨٠٠).
(٦) آية ٢٠٤ من سورة الأعراف.

الاستماع.

٧ ـ التـزام الأدب معـه :

فلا يمس القرآن إلا طاهر، ولا يقرؤه مَن عليه حدث أكبر حتى يغتسل، ولا يهان في حمله ووضعه، وإذا حمله أو ناوله شخصًا فبيده اليمنى، ولا يرميه، ويحافظ عليه ولا يمزقه، أو يكتب عليه ما لا حاجة له به، وإذا تمزق فلا يجوز رميه بل يحرقه ويدفنه في موضع طيّب.

ويجعله أعلى من غيره، ولا يتّكئ عليه، ولا يجلس على شيء فيه مصحف كالحقيبة والمكتب، كل هذا احتراماً لكتاب الله تعالى، والتزاماً للأدب معه.

الأسئلـة

س١ : اذكر ثلاثاً من خصائص القرآن الكريم، مع ذكر الدليل لما تقول.

س٢ : القرآن معجزة باقية للأجيال، دلّل على ذلك.

س٣ : اذكر ثلاثة من الأسباب الداعية ـ في نظرك ـ إلى ضعف بعض المتعلمين في قراءة القرآن الكريم .
وكيف تعالج ؟

س٤ : اذكر ثلاثاً من الوسائل المعينة على تدبر القرآن الكريم .

أهمية دراسة سيرتهم

إن في تدارسنا لحياة أصحاب محمد ﷺ فوائد جليلة ينبغي أن لا نغفل عنها حينما نقرأ سيَرهم، ونتدارس حياتهم، فمنها : الاقتداء بهم، وازدياد الإيمان بذكرهم، وزيادة محبتهم في القلوب، فهي من الإيمان، كما قال ﷺ : «حب الأنصار آية الإيمان، وبغضهم آية النفاق»[١]، وكما قال : «لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[٢].

قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: من كان مستنًّا فليستَنّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبّهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ، كانوا على الهدى المستقيم والله ربِّ الكعبة[٣].

وفي قراءة سيرهم وأخبارهم أُنسٌ وسلوى عن قراءة ما لا يفيد، كان عبدالله بن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ يكثر الجلوس في بيته، فقيل له : ألا تستوحش ؟! فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه ؟![٤]، وغير ذلك من العبر والفوائد.

صـورٌ من حيـاة الصحابـة رضي الله عنهم

١ ـ عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ نزل عليه، فنزل النبي ﷺ في السُّفْل، وأبو أيوب في العُلْو، فانتبه أبو أيوب ليلة، فقال : نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ ؟! فتنحَّوا، فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ : «السُّفل أرفق»، فقال : لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحوّل النبي ﷺ في

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حبّ الأنصار ح (١٧)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب حب الأنصار ح (٧٤).
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب حب الأنصار ح (٧٥).
(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٠٥ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣٩ .

العُلْو وأبو أيوب في السُّفْل، وكان يصنع للنبي ﷺ طعاماً، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه[١].

٢ ـ ذكر أنس ـ رضي الله عنه ـ أن عمّه أنس بن النضر ـ رضي الله عنه ـ كان قد شقّ عليه أنه لم يحضر غزوة بدر مع النبي ﷺ وأنه قال : وإن أراني اللّه مشهداً فيما بعد مع رسول اللّه ﷺ ليرين الله ما أصنع. قال : فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، فهزم الناس، فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني المسلمين)، وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه، فلقي سعد بن معاذ، فقال له : أين يا سعد ؟ إني أجد ريح الجنة دون أُحُد، فمضى فقاتلهم حتى قُتِل، فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة، وطعنة، ورمية، قال أنس : فقالت عمتي الرُّبَيِّع بنت النضر : فما عرفت أخي إلا ببنَانه[٢].

٣ ـ وخرَج حرام بن ملحان ـ رضي الله عنه ـ مع جماعة من أصحاب النبي ﷺ عدتهم سبعون رجلاً، خرجوا للدعوة إلى اللّه تعالى، حتى إذا وصلوا إلى (بئر معونة) تقدم ثلاثة من الصحابة رضي اللّه عنهم، فيهم حَرام بن مِلحَان، ثم سبق صاحبيه، وقال لهما : كونا قريبا حتى آتيهم، فإن أمّنوني كنتم قريباً، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم، فأتاهم وقال لهم : أتؤمّنوني أبلغ رسالة رسول اللّه ﷺ ؟ وجعل يحدثهم، وأومأوا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه حتى أنفذه بالرمح، فأخذ حَرامٌ الدمَ ونضحه على وجهه ورأسه، وقال : اللّه أكبر، فزتُ ورب الكعبة[٣].

٤ ـ حدَّث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : حلفت أمّ سعد أن لا تكلمه أبدا حتى يَكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، وقالت : زعمتَ أن اللّه وصّاك بوالديك، وأنا أمّك، وأنا آمرك بهذا، قال : مكثت ثلاثاً حتى غُشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمار فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل اللّه هذه الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ... ﴾ الآية[٤].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب إباحة أكل الثوم، ١٦٢٣/٣ ح ١٧١ .

(٢) مجموع من روايتين للبخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (٤٠٤٨)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ح (١٩٠٣).

(٣) مجموع من أكثر من رواية في البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع وبئر معونة ح (٤٠٩٠ ، ٤٠٩١ ، ٤٠٩٢)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد.

(٤) آية ٨ من سورة العنكبوت. والحديث رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سعد ح (١٧٤٨).

وفي رواية : فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه، تعلمين والله لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفسًا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فكلي، وإن شئت لا تأكلي، فأكلَت[1].

٥ ـ قال عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ لأصحابه : تمنَّوا، فقال أحدهم : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله، فقال : تمنوا، قال آخر : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهباً فأنفقها في سبيل الله، قال : تمنّوا، قال آخر : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهراً ـ أو نحوه ـ فأنفقه في سبيل الله، فقال عمر : تمنوا، فقالوا : ما تمنينا بعد هذا، قال عمر : لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله[2].

الأسئلة

س١ : لِمَ كان عبدالله بن المبارك ـ رحمه الله ـ لا يستوحش إذا جلس وحده ؟

س٢ : اذكر ما يمكنك استفادته من موقف أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ عندما أسكن النبيَّ ﷺ في بيته.

س٣ : «إني أجد ريح الجنة دون أُحُد»، من قائل هذه العبارة ؟ وما المناسبة ؟ وعلامَ يدلّ قوله لها ؟

س٤ : «فزت وربِّ الكعبة» ما الفوز الحقيقي الذي تفيده هذه الكلمة ؟

(١) عزاها الحافظ ابن كثير للطبراني في كتاب العشرة (تفسير ابن كثير، عند الآية ١٤ من سورة لقمان).
(٢) التاريخ الصغير للبخاري ٧٩/ ١، والمستدرك مختصرا ٢٦٢/ ٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١ .

الحرص على الوقت وحسن الاستفادة منه

أهمية الوقت

إن من المعلوم أن لله تعالى أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته، وأنه لا يُقسَم إلا بعظيم، وكلما تكرر القسم بشيء دلّ ذلك على أهميته، ولو تدبرنا قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ ﴾[1]، وقوله عز وجل: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾[3]، لوجدنا أنها أجزاء الوقت. ثم تدبّر أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ ﴾[4]، تدرك أنه أقسم بالزمان كله، وما هذا إلا لأهميته، وهذه الأهمية مصدرها أن الوقت هو الزمن الذي تقع فيه الأعمال، وهذه الأعمال (خيرها وشرها) هي التي يقدمها البشر لينالوا بها جزاء الخالق.

إذا عرفنا هذا تبين لنا أهمية الوقت، فهو في الحقيقة حياتنا على هذه الأرض؛ لكي نقدم فيها ما يوصلنا إلى الغاية التي لأجلها خلقنا، فالوقت هو الحياة.

نعمة الوقت

إن الوقت نعمة وأمانة يضيّعها كثير من الناس، يضيعونها على أنفسهم، وعلى أمتهم، قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[5].

خاصّيته

للوقت خاصية، وهي أنه إذا ذهب لم يرجع، وهذا يدفعنا لاستغلال كل لحظة منه، كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[6].

(١) آية ١ من سورة الفجر. (٢) آية ١، ٢ من سورة الليل.
(٣) آية ١، ٢ من سورة الضحى. (٤) آية ١ من سورة العصر.
(٥) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق ٢٢٩/١١، ح (٦٤١٢).
(٦) رواه البخاري موقوفاً في الرقاق ٢ باب قول النبي ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب» رقم (٦٤١٦).

من مظاهر الفراغ

إن من تراه يجول في الشوارع الساعات الطوال بلا هدف، مضيع لوقته، ومن تراه يجلس الساعات الطوال يرقب ما لا يعود عليه بنفع في دينه ولا في دنياه، مضيع لوقته، وكل من اشتغل بما لا يرضي اللهّ فقد ضيّع وقته.

التحسر على فوات الأوقات

إذا تنبه العاقل، وتذكر ما مضى من أيام عمره، فإنه يندم على الساعات التي قضاها في اللهو والبطالة، وأشد ساعات الندم حين يقابل المرء بصحيفة عمله، فيرى فيها الخزي والعار، قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

فالعاقل من ندم اليوم حيث ينفعه الندم، واستقبل لحظات عمره، فعمَرها قبل أن يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه الندم.

من أسباب تضييع الوقت

١ ـ عدم وضوح الغاية:

إن عدم وضوح الغاية، أو عدم وجودها، أو عدم التفكير فيها، أو عدم الانشغال بها والسعي لأجلها هو أعظم سبب لضياع الأوقات.

فمن حددً هدفًا يسعى إليه ـ أيّاً كان الهدف ـ فإنه لن يضيع وقته، فالطالب الذي يريد التفوق لا يكثر اللهو، ومن يريد الزواج يسعى لتحصيله بأسبابه، ومن يريد أن يكون تاجراً فإنه يسعى لتحصيل ذلك، وهكذا،

---

(١) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة الفجر.
(٢) آية ٥٦ من سورة الزمر.

فحري بمن غايته الوصول إلى الجنة ونعيمها أن يسعى جاداً لتحصيلها، قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية[١].

وفي الحديث: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[٢].

وكل هدف نبيل يسعى المؤمن لتحصيله فيه إصلاح دينه، أو دنياه، أو أمته، إذا أخلص فيه النية ووافق فيه الطريقة الشرعية فإنه طريق لتحصيل تلك الغاية.

٢ ـ مرافقة الزملاء غير الجادّين الذين يضيعون الأوقات سدى، ولا يستفيدون من عمرهم وشبابهم.

٣ ـ الفراغ، وعدم معرفة ما ينبغي أن يشغل به وقته.

٤ ـ كثرة الملهيات والمغريات فإذا انشغل بها المؤمن ضاع وقته وخسر عمره.

٥ ـ قلة الأعوان ـ من الأهل والأصحاب ـ على استغلال الوقت.

استغلال الوقت

ينبغي العناية بالوقت وملئه بالعمل حتى لا يوجد فراغ، فالفراغ داعٍ إلى الفساد، والنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

إن الشبـاب والفـراغ والجِـدَهْ ... مفسـدة للمـرء أي مفسـدَهْ

إن وضوح الهدف، ومعرفة أهمية الوقت، سبب لاستغلاله، فعليك بترتيب وقتك وتنظيمه واستغلاله بأن تجعل لك جدولاً يوميًا وأسبوعيًا وخلال الإجازات لكي تستغل وقتك على الوجه المطلوب.

وصور استغلال الوقت أكثر من أن تحصر، ومنها: المحافظة على الصلوات في الجماعة، والتبكير إلى المسجد وذكر الله، وقراءة القرآن، وخدمة الوالدين، وصلة الأرحام، والزيارات النافعة، وعيادة المرضى، والتعلّم، والتعليم، والدعوة إلى الخير، والتفكّر في خلق الله، والتفكير في مصالح نفسك، ومصالح وطنك وأمتك،

---

(١) آية ٢١ من سورة الحديد.

(٢) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (١٨) ح (٢٤٥٠)، وقال: حديث حسن غريب، ورواه الحاكم ٤/ ٣٠٧، ٣٠٨، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه.

والعمل النافع المنتج، وكتابة البحوث، وحضور حلق العلم والقرآن، والاستماع لكل نافع ومفيد، ومساعدة المحتاجين، وغير ذلك كثير، بل إن انشغالك بالمباح ـ ولو كان نوماً أو اضطجاعاً بِنِيَّةِ ترويح النفس لتستعيد نشاطها وتَقوَى على الطاعة ـ من استغلال الوقت.

قال معاذ ـ رضي الله عنه ـ : أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : معناه أنه يطلب الثواب في الراحة، كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصل بها الثواب[٢].

والمراد بقومته هنا : قيامه الليل وصلاته.

صور من الحرص على الاستفادة من الوقت

١ ـ قال عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي عن حالِه مع أبيه (أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي) : ربما كان يأكل فأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت لطلب شيء وأقرأ عليه[٣].

٢ ـ قال عبدالرحمن بن أبي حاتم : كنا بمصر سبعة أشهر، لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسَّم لمجالس الشيوخ، وبالليل النسخ والمقابلة، قال : فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً، فقالوا : هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكاً أعجبنا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس، فلم يمكنا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نِيئًا، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه، ثم قال : لا يستطاع العلم براحة الجسد[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ٨/٦٠ (ح ٤٣٤١ ، ٤٣٤٢ ، ٤٣٤٤ ، ٤٣٤٥)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ٣/١٤٥٦ برقم (١٧٣٣).
(٢) فتح الباري ٨/٦٢ بتصرف يسير.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٥١ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٦٦ .

الأسئلة

س١ : (هيّا نضيّع الوقت) بيّن رأيك في هذه العبارة، مع التعليل.

س٢ : لماذا كان الوقت مهماً ؟

س٣ : «الوقت هو الحياة» ما معنى هذه العبارة ؟

س٤ : اذكر خمس صور من مظاهر ضياع الوقت سوى ما في الكتاب.

س٥ : متى يثاب المرء المسلم على الراحة والاستجمام ؟ اذكر ثلاث صور على ذلك من إنشائك.

الصــــدق

تعريف الصدق

الصدق : هو مطابقة الخبر للواقع، وضده الكذب، وهو الإخبار عن الشيء خلاف ما هو عليه.

مكانة الصدق

الصدق من اعظم خصال الخير، وهو من مكارم الأخلاق التي جاء الشرع بتأكيدها والأمر بها.

فهو خلق رفيع يتمثله الأفاضل من الناس، ويتنكب عنه الأراذل، ولذلك كان وصفاً ملازماً للأنبياء عليهم السلام، وضده ما كان ملازمًا للمنافقين وأشباههم.

الأمر بالصدق، والنهي عن الكذب

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾[1].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند اللّه صدّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند اللّه كذّاباً»[2].

أقسام الصدق

(أ) الصدق بالقلب، فالمؤمن يجب أن يكون صادقاً بقلبه، فلا يخالف ظاهره باطنه.

(ب) الصدق بالأفعال، سواء التي بَينه وبين اللّه تعالى، أو بينه وبين الخلق، فلا يغش، ولا يخلف إذا وعد،

---

(١) آية ١١٩ من سورة التوبة.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ (الفتح ٥٠٧/ ١٠)، رقم (٦٠٩٤)، ومسلم، كتاب البر، باب قبح الكذب ٢٠١٢/ ٤ رقم (٢٦٠٧)، وهذا لفظه.

قال تعالى : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾ الآية[1].

(جـ) الصدق بالأقوال، فلا تخالف الواقع، ولا تخالف أفعال صاحبها قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾[2].

من ثمرات الصدق

١ ـ الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة.

٢ ـ الصادق محبوب عند الله، وعند الناس.

٣ ـ الصدق ينجي صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة.

الكذب وحكمه

الكذب : الإخبار عن الشيء خلاف ما هو عليه، وقد يكون في الماضي، كأن يقول : فعلت، وهو لم يفعل، وقد يكون في المستقبل، كأن يقول : سأفعل، وليس في نيته أن يفعل.

والكذب لا يجوز في جد ولا هزل، وليس في الكذب شيء أبيض مباح، وشيء أسود حرام ـ كما يظن البعض ـ بل كله خلق مذموم، إلا ما دعت إليه ضرورة، كالكذب لإنقاذ معصوم الدم من قاتل، أو لتحصين مالٍ من غاصب، ونحو ذلك[3].

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «لا يصلح الكذب في هزل ولا جد»[4].

ويعظم الكذب إذا ترتب عليه ضرر أو فساد، ويعتبر اعتياد الكذب من كبائر الذنوب.

---

(١) آية ٢٣ من سورة الأحزاب.

(٢) آية ٢ من سورة الصف.

(٣) ينظر في المواضع التي يجوز فيها الكذب : رياض الصالحين، باب بيان ما يجوز من الكذب، وكتاب الأذكار، للنووي ص ٣٢٤، في باب النهي عن الكذب وأقسامه، وغذاء الألباب للسفاريني ١/١٣٤ وغيرها.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد، رقم (٣٨٧)، والطبراني في الكبير رقم (٨٥٢٥)، وابن أبي الدنيا في ذم الكذب رقم (٧٩).

١ ـ الكذب على الله تعالى، وذلك مثل أن يتكلم في دين الله بغير علم، أو يقول : قال الله كذا، ويذكر أشياء لم يقله الله تعالى، الله يعلم أني فعلت كذا، وهو لم يفعله، ونحو ذلك، وهذا من أعظم الكذب، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ إلى أن قال تعالى : ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[١]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[٢].

٢ ـ الكذب على الرسول ﷺ، وهو أيضاً من أعظم أنواع الكذب، قال ﷺ : «إن كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار»[٣].

٣ ـ شهادة الزور، وهي من أشد أنواع الكذب، والواجب على المرء ألاّ يشهد إلا بشيء يعلمه يقيناً، ولا يتردد في ردّ من يطلب منه الشهادة في شيء لا يعلمه ومما يدخل في ذلك تساهل الناس اليوم بالشهادة في المحاكم، وكتابة العدل على ما لا يعلمون.

٤ ـ اليمين الغموس، وهي : أن يحلف على شيء مضى أنه حصل، أو لم يحصل وهو كاذب في ذلك.

٥ ـ اختلاق القصص والأخبار التي لا أصل لها؛ لإضحاك الآخرين، أو لملء الفراغ، وفي الصدق غُنْيَةٌ عن الحرام.

٦ ـ أن يقول : رأيت كذا، ولم يره، قال ﷺ : «أفْرَى الفِرَى أن يُري الرجل عينيه ما لم تَرَ»[٤].

٧ ـ أن يزعم أنه رأى في المنام كذا، وهو لم ير، قال ﷺ : «من تحلّم بحلم لم يره، كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل»[٥].

وهذا تعذيب له على كذبه، وفي رواية للإمام أحمد : «عُذّب يوم القيامة حتى يعقد شعيرتين، وليس عاقداً»[٦].

(١) آية ٣٣ من سورة الأعراف. (٢) الآية ١١٦ من سورة النحل.

(٣) رواه مسلم، في المقدمة، ١٠/١، حديث رقم (٤)، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، والجزء الأخير من الحديث متواتر.

(٤) رواه البخاري، عن ابن عمر، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه (الفتح ٤٢٧/ ١٢)، رقم (٧٠٤٣)، ورواه أيضاً من حديث واثلة في كتاب المناقب، باب رقم (٥) (الفتح ٥٣٩/ ٦)، رقم (٣٠٥٩)، قال النووي في رياض الصالحين، باب تحريم الكذب : معناه : يقول : رأيت، فيما لم يره. وانظر : دليل الفالحين ٣٦/ ٨، وجاء في بعض روايات الحديث ما يقيده برؤيا المنام. انظر : (فتح الباري، في شرح الحديثين).

(٥) رواه البخاري، الموضع السابق، رقم (٧٠٤٢). (٦) المسند ٢١٦/ ١ .

عقوبة الكاذب

مما ورد في ذلك : حديث سمرة بن جندب ـ ﷺ ـ في رؤيا النبي ﷺ : «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما قالا لي : انطلق...، قال : فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لِقَفَاه، وإذا آخر قائم عليه بكلّوب من حديد، وإذا هو يأتي أحدَ شِقَّي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى.

قال : قلت : سبحان الله ! ما هذان ؟... إلى أن قال : قالا لي : أمَا إنا سنخبرك... وأما الرجل الذي أتيت إليه يُشَرْشَرُ شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق»(١).

وقوله : (يُشَرْشَرُ) أي : يُقَطَّع.

من مساوئ الكذب

١ ـ الكذب من خصال المنافقين.

٢ ـ من تكرر منه الكذب حتى صار عادة يكتب عند الله في صحائف الكذابين. وهذا من أقبح وأشنع ما يكون، فالمرء لا يرضى أن يُصَنَّف من قبل أهله وأصحابه في قائمة الكذّابين، فكيف يرضى أن يكون عند خالقه كذلك ؟!

٣ ـ الكاذب مردود الشهادة.

٤ ـ الكاذب قد يُرَدُّ صدقه؛ لأن الناس لا يثقون بكلامه، قال ابن المبارك رحمه الله تعالى : «أول عقوبة الكاذب من كذبه : أنه يرد عليه صدقه»(٢).

---

(١) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، (الفتح ٤٣٨/ ١٢)، رقم (٧٠٤٧).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الكذب، رقم (٨٢).

بعض الوسائل المعينة على التخلص من الكذب

١ ـ الاستعانة بالله تعالى، ودعاؤه أن يخلّصه من هذا الداء الخطير.

٢ ـ استشعاره سوء خاتمة الكذب بأن يُكتب عند الله في صحائف الكذابين.

٣ ـ مراقبة الله، ومراقبة الملائكة، وأنها تكتب عليه كل شيء.

٤ ـ معرفته أن الكذب قد يؤدي به إلى ألاّ تقبل منه جميع أقواله في المستقبل، وأنه يسقط من أعين الناس.

٥ ـ تصوّره أن النجاة الحقيقية في الصدق، سواء في الدنيا أو في الآخرة، وإن ظهر له بادئ الأمر أن النجاة في الكذب.

٦ ـ أن يتجنب ما يدعوه إلى الكذب، ومن ذلك : فعل القبيح الذي يدعوه للاعتذار كاذباً، وكثرة المواعيد التي تدعوه للإخلاف، ومجاراة الأصدقاء الكاذبين، أو الذين يستمعون إلى الكذب ويشجعون عليه.

الأسئلة

س١ : ما أقسام الصدق ؟ واذكر ثلاثا من ثمراته .

س٢ : ما الكذب ؟ وهل يفرق فيه بين الجاد والهازل ؟ مع التوضيح .

س٣ : اذكر ثلاثا من مساوئ الكذب، ثم اذكر عقوبته في الآخرة .

س٤ : ماذا يجب عليك إذا علمت أن صاحبك يكثر الكذب في أقواله ؟

الطـــاعـــة

الاجتماع ضرورة، ولا بد فيه من إمارة

لقد جُبِل الناس على حب الاجتماع، فالإنسان اجتماعي بطبعه[١]، والناس منذ القدم لا يعيشون إلا في جماعات، وكل جماعات إن لم يكن لها قائد ينظم أمرها ويطاع فيها، ويُسمع أمرهُ ونهيه، فإن اجتماعها يعود إلى فرقة، وإلفَها إلى تناحر، وأُنسها إلى وحشة، قال الشاعر:

لا يصلـح النـاس فوضـى لا سـراة لـهم ... ولا سـراة إذا جُهّـالَـهم سـادوا

فجاء الشرع والناس على ذلك، فقرر هذا الواقع ورتّب أمره، وحوّله من عادة إلى دين، فقال تعالى آمرًا بطاعة ولاة الأمر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ... ﴾ الآية[٢].

اتساع دائرة الإمارة

وتتسع دائرة ذلك حتى تشمل كلَّ من له ولاية شرعية صحيحة، فإن له حقّ الطاعة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا: «من أطاعني فقد أطاع اللّه، ومن عصاني فقد عصى اللّه، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني»[٣].

ومن ذلك كلّ من له ولاية صحيحة، كالوزير في وزارته، والمدير في إدارته، ونحو ذلك، فهؤلاء لا يمكن أن يسير العمل المنوط بهم إلا بإعطائهم حق الطاعة ممن تحت أيديهم.

وجماعة السفر لا بد لها من أمير يعطَى حقّ الطاعة، قال ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم»[٤].

(١) ينظر في هذا: مقدمة ابن خلدون، الكتاب الأول، طبيعة العمران، الفصل الأول، المقدمة الأولى: في أن الاجتماع الإنساني ضروري، ص ٣٤.

(٢) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾، ١٣/ ١١١، ح (٧١٣٧)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمير في غير معصية ٣/ ١٤٦٦ ح (١٨٣٥).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب القوم يسافرون ويؤمّرون أحدهم ٢/ ٤٢ ح (٢٦٠٨، ٢٦٠٩).

ويمتد ذلك، فيشمل وليّ الأسرة وراعيها، فإن له حق الطاعة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، والإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راعٍ ومسؤول عن رعيته»[1].

معنى الطاعة

الطاعة : الانقياد، ومنه : المطيع والطائع لله؛ لأنه منقاد لأمره، وعكسه العاصي؛ لأنه مستعصٍ غير منقاد.

أقسام الطاعة

تنقسم الطاعة في الجملة إلى قسمين :

١ ـ طاعة مطلقة

وهي الطاعة غير المشروطة.

وهذا النوع خاص بالله تعالى ورسوله ﷺ، فليس لأحد كائنًا ما كان غير الله تعالى ورسوله ﷺ طاعة مطلقة.

خصائص الطاعة المطلقة

وهذه الطاعة تختص عن غيرها بخصائص، منها :

(أ) أنها طاعة مستقلة بنفسها غير تابعة لغيرها، بخلاف طاعة غير الله ورسوله، فهي طاعة غير مستقلة، بل هي تابعة لطاعة الله ورسوله ﷺ، ولذلك ذكر الله تعالى في الآية السابقة الفعلَ (أطيعوا) متعلقاً بالله تعالى، ثم ذكر متعلقاً برسوله ﷺ، ولم يكرره عند ذكر طاعة (أولي الأمر)، وذلك ـ والله أعلم ـ لأنه ليس لهم طاعة مستقلة، بل هم تبع لطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

(١) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب تأويل قوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾ ٥/ ٣٧٧، ح (٢٧٥١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٣/ ١٤٥٩ ح (١٨٢٩).

(ب) سرعة الاستجابة، دون تردد؛ لأنه ليس في أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ إلا الخير والحكمة، فليس في شرع الله ما ينافيها، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا .. ﴾ الآية[1]، فليس العبث من فعل الله تعالى أبدا، وهذا من معنى الإيمان باسم الله تعالى : (الحكيم)، وصفته : (الحكمة).

وبهذا تعرف أن تنفيذ المسلم لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ لا يتوقف على إدراكه للحكمة، بل الواجب عليه المبادرة للاستجابة، ولا بأس بعد ذلك أن يحاول التعرّف على الحكمة الشرعية، ويسأل عنها، فإن لم يستطع إدراكها فليس ذلك لعدم وجودها، بل لقصور إدراكه عن معرفتها، ولذلك قد يعرفها غيره، وقد يعرفها هو بعد حين.

ومن أدلة هذه الخاصيّة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[3].

(جـ) أن في طاعة الله ورسوله ﷺ الهداية التامة.

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾[4].

٢ـ طاعة مقيّدة

وهي الطاعة المشروطة بشروط، فلا تجب إلا إذا وجدت هذه الشروط، وهذه الطاعة هي الطاعة لأولياء الأمور بأنواعهم، من حاكم، وأمير، وأب، ومدرس، وغيرهم.

---

(١) آية ١١٥ من سورة المؤمنون.
(٢) آية ٣٦ من سورة الأحزاب.
(٣) آية ٥١ من سورة النور.
(٤) آية ٥٤ من سورة النور.

شروط وجوب الطاعة المقيدة مايلي

(أ) ألاّ تكون في معصية اللّه ورسوله ﷺ، بل في المعروف، دليل ذلك :

عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : بعث رسول اللّه ﷺ سريّة، وأمّر عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم، وقال : أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى، قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم ناراً، ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطباً، فأوقدوا ناراً، فلما همّوا بالدخول، فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض، فقال بعضهم : إنما تبعنا النبي ﷺ فراراً من النار، أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار، وسكن غضبه، فذُكِر للنبي ﷺ فقال : «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا، إنما الطاعة في المعروف»[1].

(ب) الاستطاعة، قال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ... ﴾ الآية[2].

وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول اللّه ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا : «فيما استطعتم»[3].

(جـ) ألا يترتب على الطاعة ضرر للمأمور، فمن القواعد الشرعية المقررة أن الضرر يزال، قال ﷺ : «لا ضرر ولا ضرار»[4]، لكن قد يحتمل الضرر الخاص لتلافي الضرر العام، أو الضرر الأصغر لضرر أكبر منه.

حكمة الشرع

وحكمة الشرع في كل ذلك واضحة جداً، ومنها : أن الحياة لا يمكن أن تستقر بدون الطاعة، وذلك من محاسن الشريعة التي لا تأتي إلا بالعدل والإحسان والحكمة والرحمة، وعليه فلا يمكن أن يستقيم معاش الناس ورعاية مصالحهم، ودرء المفاسد عنهم إلا بتلك الطاعة.

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ١٢٢/ ١٣، ح (٧١٤٥)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٤٦٩/ ٣ ح (١٨٤٠).

(٢) آية ١٦ من سورة التغابن.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس ١٩٣/ ١٣ ح (٧٢٠٢).

(٤) رواه أحمد في مسنده ٣٢٧/ ٥، ومالك في الموطأ، كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق ٧٤٥/ ٢ رقم (٣١)، وابن ماجه في الأحكام، باب من بني في حقه ما يضر بجاره ٧٨٤/ ٢ ح (٢٣٤٠)، وقال النووي في الأربعين ح (٣٢) حديث حسن.

من الآثار الحميدة المترتبة على طاعة ولاة الأمر

١ ـ في ذلك امتثالٌ لأمر الله تعالى، ورسوله ﷺ، ويترتب على ذلك الأجر والثواب.

٢ ـ في ذلك تلاحم للأمة وتماسك، واستمرار لوحدتها.

٣ ـ انتظام أمور الدولة، سواء ما يتعلق بأمور الدين أو الدنيا.

٤ ـ إشاعة الأمن والاستقرار في ربوع البلاد.

٥ ـ سبب لقوة الأمة وهيبتها ونصرها على أعدائها في الداخل والخارج.

الأسئلة

س١ : الاجتماع ضرورة إنسانية، فما الذي يلزم لاستمرار هذا الاجتماع ؟

س٢ : يشرع للجماعة إذا سافروا أن يؤمّروا أحدهم، ما دليل ذلك ؟ وما فائدته ؟

س٣ : هل يجوز لمسلم إذا سمع بأمر الله، أو بأمر رسوله ﷺ أن يؤخّر الاستجابة حتى تتبين له الحكمة؟ علل ما تقول .

س٤ : ما حكم ما يلي مع التعليل والاستدلال :

(أ) قطع الإشارة.

(ب) أمر الأستاذ بالهدوء أثناء الشرح.

(جـ) أمرَك أخوك الأكبر أن تترك الصلاة في المسجد.

س٥ : لطاعة ولاة الأمر آثار حسنة، اذكر ثلاثة منها.

الحبّ في اللّه

معنى الحبّ في اللّه

لم يكن الناس في جاهليتهم يعرفون شيئًا اسمه (الحب في اللّه)، وكانت العَلاقات التي تربط بعضهم ببعض علاقات منشؤها الأرض، أو النسب، أو ما شابه ذلك، فجاء اللّه بنور الإسلام، وسَما بتلك العَلاقات، فجعل عَلاقة الدين أرفعَها وأجلَّها، ورتَّب على هذه العَلاقة الأجر والثواب، والحب والبغض، فنشأ مع الإسلام مصطلح : الأخوة في اللّه، والحب في اللّه.

فالحب في اللّه : محبةُ المسلم لما فيه من خصال الخير والطاعة للّه تعالى، فليست لأجل المال، ولا النسب، ولا الوطن، ولا غير ذلك.

من فضائل الحبّ في اللّه

١ ـ محبة اللّه تعالى للمتحابين فيه، فعن أبي هريرة ـ ﵁ ـ عن النبي ﷺ : (أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد اللّه له على مدرجته ملَكا، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخًا لي في هذه القرية، قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها ؟ قال : لا، غير أني أحببته في اللّه عز وجل، قال : فإني رسول اللّه إليك أن اللّه قد أحبك كما أحببته فيه)[١].

وفي الحديث القدسي : «وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ»[٢].

٢ ـ المتحابون في اللّه تعالى في ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله، قال ﷺ : «سبعة يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظلّه ... ورجلان تحابا في اللّه، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه»[٣].

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر، باب فضل الحب في اللّه ١٩٨٨/ ٤ رقم (٢٥٦٦).
وقوله : أرصد على مدرجته : أقعده على طريقه يرقبه، وقوله : «تَرُبُّها» بمعنى : تحفظها وتراعيها بذهابك إليه.
(٢) رواه مالك في الموطأ، كتاب الشعر، باب ما جاء في المتحابين في اللّه ٢/٩٥٣ ، ٩٥٤ .
(٣) رواه البخاري في الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة (الفتح ١٤٣/ ٢) رقم (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة ٧١٥/ ٢ رقم (١٠٣١).

وقال ﷺ : «إن اللّٰه يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[1].

٣ ـ الحب في اللّٰه من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ : «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا...»[2].

صفات من تختار أخوته ومن تجتنب

لما للصاحب من تأثير على صاحبه فالواجب على المسلم أن يعتني بمن يختاره لصحبته، ولذلك قال النبي ﷺ : «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[3].

ومن أهم الصفات التي ينبغي اتصاف الصاحب بها :

(أ) أن يكون ذا دين وتقوى، بخلاف من ليس كذلك، ولكل منهما علامات يعرف بها، فعلامة ذي التقوى : حرصه على فرائض اللّٰه، كالصلاة ونحوها، ونظافة لسانه من السبّ واللعن والغيبة وغيرها، ونصحه لصاحبه، ومحبته للصالحين، وبعده عن الرذائل والفواحش، وإعانته على الطاعة وتثبيطه عن المعصية، ونحو ذلك من الصفات، وعلامة ضده بضد ذلك، واللّٰه الموفق.

قال تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[4].

وقال ﷺ : «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»[5].

(ب) أن يكون عاقلاً، فلا خير في صحبة الأحمق، لأنه قد يريد نفعك فيضرك[6].

(جـ) أن يكون حسن الأخلاق، فسيء الخلق ضرره إليك واصل، ولو لم يكن من ذلك إلا أنه قد يعديك بسوء طباعه، أو يؤذيك بكثرة خصامه.

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر، باب فضل الحب في اللّٰه ١٩٨٨/ ٤ رقم (٢٥٦٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب لا يدخل الجنة إلاّ المؤمنون ٧٤/ ١ رقم (٥٤).

(٣) رواه أبو داود، في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ١٦٨/ ٥ رقم (٤٨٣٣)، والترمذي في الزهد، باب (٤٥) ٥٨٩/ ٤ رقم (٢٣٧٨)، وهذا لفظه، وقال حديث حسن غريب.

(٤) آية ٦٧ من سورة الزخرف.

(٥) رواه أبو داود، في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ١٦٧/ ٥ (٤٨٣٢)، والترمذي في الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن ٦٠٠/ ٤، رقم (٢٣٩٥) وقال : حديث حسن.

(٦) للاستزادة في هذه الجزئية يمكن النظر في أول كتاب (الحمقى والمغفلين) لابن الجوزي.

(د) أن يكون صاحب سنّة، وإياك وصاحب البدعة، فإنه يجرك إلى بدعته، ولا أقل من أن يشوّش فكرك، ويؤذي خاطرك[١].

حقوق وآداب الأخوّة

للأخوة آدابٌ، القيام بها مشعر بصدق هذه المحبة في اللّٰه تعالى، فمنها :

١ ـ السلام، والبشاشة عند اللقاء، قال ﷺ : «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق»[٢].

٢ ـ الهدية، ولها أثر كبير في زيادة المحبة، وإذهاب ما في النفوس، قال ﷺ : «تهادوا تحابّوا»[٣].

٣ ـ الدعاء له، قال ﷺ : «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك : ولك بمثل»[٤]، ويستمر ذلك في حياته وبعد موته.

٤ ـ إخباره بهذه المحبة، قال ﷺ : «إذا أحب الرجل أخاه، فليخبره أنه يحبه»[٥].

فيقول له : إني أحبك في اللّٰه، ويرد عليه : أحبَّك الذي أحببتني له[٦].

٥ ـ الزيارة، والأفضل كونها بين فترة وأخرى، لا قليلة فتنتج الجفاء، ولا كثيرة فتؤدي إلى السآمة والملل، قال ﷺ : «زُر غِبّاً، تزدد حُبّاً»[٧]، وقيل :

زر غِبّـاً تـزد حبا فمـن ... أكثـر التـكـرار أقصـاه الملـل

(١) للاستزادة في هذه الجزئية انظر رسالة : (هجر المبتدع) للشيخ بكر أبو زيد.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ٢٠٢٦/ ٤ رقم (٢٦٢٦).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم (٥٩٤)، والبيهقي ١٦٩/ ٦ عن أبي هريرة، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص ٧٠/ ٣، ٧١ : إسناده حسن، وانظر الإرواء ٤٤/ ٦ .

(٤) رواه مسلم، كتاب الذكر، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ٢٠٩٤/ ٤ رقم (٢٧٣٢).

(٥) رواه أبو داود، في الأدب، باب إخبار الرجل بمحبته إياه ٣٤٣/ ٥ رقم (٥١٢٤)، والترمذي في الزهد، باب ما جاء في إعلامِ الحبّ (٢٣٩٣)، وقال : حسن صحيح.

(٦) رواه أبو داود، الموضع السابق، رقم (٥١٢٥).

(٧) رواه البزار (كشف الأستار ٣٩٠/ ٢ ، ٥/ ٣)، والحارث بن أبي أسامة، والطبراني في الأوسط والكبير، والبيهقي في الشعب ٣٢٦/ ٦، ٣٢٨، والحاكم ٣٤٧/ ٣، وغيرهم، وقال السخاوي في المقاصد ص ٢٣٣ : وأفرد أبو نعيم طرقه ثم شيخنا (ابن حجر) في «الإنارة بطرق غب الزيارة»، وبمجموعها يتقوى الحديث. وانظر : صحيح الجامع رقم (٣٥٦٢).

٦ ـ المعونة، وقضاء الحوائج، وأعلى مراتبها : تقديم حوائجه على حوائج النفس، وأوسطها القيام بحوائجه من غير طلب منه، مع كونها غير متعارضة مع حوائج النفس، وأقل ذلك القيام بحوائجه بعد طلبه.

٧ ـ ستر معايبه، وحفظ سرّه والقيام له بحق النصيحة بأدب وستر، والدفاع عن عرضه، والتجاوز عن زلاته، وحسن الخلق معه، وغير ذلك.

الأسئلـة

س١ : متى نشأ مصطلح (الحبّ في الله)، وما سبب نشوئه في نظرك ؟

س٢ : لماذا ينبغي الاهتمام باختيار الصاحب ؟ استشهد لما تقول .

س٣ : قال تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾، ارجع إلى تفسير هذه الآية في بعض كتب التفسير، ثم انقل ما يمكن أن تستفيده في موضوع الصداقة .

العلــــم

الإسلام دين العلم

جاء اللّه تعالى بالإسلام، والأمم غارقة في ظلام الجهل، فكان أول ما أنزل على رسوله ﷺ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[1] فكانت أول إضاءة في هذا الظلام الحالك، ثم توالت إثرها الآيات المؤذنة بأن هذا الدين دين علم، فهو يدعو أهله إلى العلم، وينفرهم من الجهل، فتحولت الأمة الأمية إلى أمة علم ونور، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾[2].

فالدين كله مبني على العلم. العلم باللّه، وبدينه، والعلم بأمره ونهيه، فلا يُعبَد اللّه إلا بالعلم، ولا يمكن أن تستقيم الأمة على المنهاج الصحيح إلا بالعلم.

أنــــواع العلــــوم

العلــوم أنــواع :

١ ـ منها المحمود، كعلم الشرع ـ وهو أشرف العلوم ـ، والعلوم التي بها قوام أمر الدنيا، كالطب، والصناعات النافعة، ونحوها.

٢ ـ ومنها المذموم، كعلم السحر، والتنجيم.

٣ ـ ومنها المباح، كالعلم بالأشعار التي لا منافاة فيها للشرع، وعلم التأريخ، ونحو ذلك.

العلــم الواجب

العلم الواجب على كل مسلم : أن يتعلّم ما تسلم به عقيدته، وتصح به عبادته، فيتعلم معنى الشهادتين، وما يناقضهما، وحقَّ اللّه تعالى ورسوله ﷺ إجمالاً، وأحكام الطهارة والصلاة إجمالاً، وإن كان لديه مال تعلّم

(١) آية ١ ـ ٥ من سورة العلق. (٢) آية ٢ من سورة الجمعة.

كيف يزكيه، وإن كان له تجارة فعليه معرفة ما يحل ويحرم في الجملة حتى لا يقع في الحرام، وهكذا حتى يعبد الله على علم وبصيرة، قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1].

قال عبدالله بن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى الحديث: إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل في شيء من أمر دينه فيسأل عنه حتى يعلمه[2].

فضائل العلم

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أن يتبرأ منه من هو فيه[3].

وللعلم فضائل كثيرة تدل على شرفه ورفعة مكانته، منها:

١ ـ أن الله تعالى وصف أهل العلم بالخشية له، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ...﴾ الآية[4]، فالعلم يورث خشية الله تعالى.

٢ ـ أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ بطلب الزيادة منه، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ١١٤﴾[5].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ عن هذه الآية: إنها واضحة الدلالة على فضل العلم؛ لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم[6].

---

(١) رواه ابن ماجه في مقدمته ١/٨١ ح (٢٢٤)، ورواه غيره، وقد اختلف فيه فضعفه جماعة من العلماء، وقوّاه آخرون، وقد حسّنه الحافظ ابن حجر، والمزّي، والسيوطي، وغيرهم، وانظر الكلام عليه مطوّلا في المقاصد الحسنة ص ٢٧٥، وكشف الخفاء ٢/٤٣، وشرح ابن ماجه للسندي ١/٩٩، وبعضهم يزيد في آخره: (ومسلمة)، ولا أصل لها في الحديث، ومعناها صحيح كما في المقاصد الحسنة. للسيوطي جزء مطبوع في طرق هذا الحديث.

(٢) عن المقاصد الحسنة، وكشف الخفاء، الموضع السابق، وانظر للاستزادة في الموضوع مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١٦١ في الوجه الثاني والثلاثين بعد المئة.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص ١٠ .

(٤) آية ٢٨ من سورة فاطر.

(٥) آية ١١٤ من سورة طه.

(٦) فتح الباري ١/١٤١ أول كتاب العلم.

٣ ـ أن العلم سبب للرفعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١١﴾[١].
والمعنى أن الله تعالى يرفع المؤمن على غيره، ثم خص العالم بمزيد رفعة على غيره من المؤمنين.

٤ ـ العلم طريق لِلْجَنَّة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قَال: «... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة»[٢].

٥ ـ العلم ميراث الأنبياء: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه مرّ بسوق المدينة فوقف عليها، فقال: يا أهل السوق، ما أعجزكم؟! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه، قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: مالَكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة، قد أتينا المسجد فدخلنا فيه، فلم نر فيه شيئاً يقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟! قالوا: بلى، رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ[٣].

٦ ـ أنه علامة على إرادة الله تعالى الخير للعبد.

عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[٤]. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ ما ملخّصه: ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين فقد حرم الخير؛ لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيهاً، ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس[٥].

---

(١) آية ١١ من سورة المجادلة.
(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ٢٠٧٤/ ٤ رقم (٢٦٩٩).
(٣) رواه الطبراني في الأوسط، قال المنذري والهيثمي: إسناده حسن. (الترغيب والترهيب ١٠٣/ ١)، (مجمع الزوائد ١٢٤/ ١).
(٤) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ١٦٤/ ١ ح (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة ٧١٨/ ٢ ح (١٠٣٧).
(٥) ينظر: فتح الباري ١٦٥/ ١.

١ ـ الإخـلاص : فيطلب العلم تقرباً إلى الله وحده، فينفع نفسه، ويعلّم الآخرين، لا أن يطلب العلم ليقال : عالم، ولا لمباهاة الأقران، وتعظيم الناس، والتصدير في المجالس، ولا يطلبه لتحصيل شهادة يتوصل بها إلى عمل دنيوي.

روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «إن أوّل الناس يقضى يوم القيامة عليه...» وذكر ثلاثة، ومنهم : «رجل تعلم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمَه، فعرفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار»[١].

٢ ـ العمـل بالعلـم :

إن من أعظم ثمار العلم : العمل به، وإلا فما فائدة أن يعلم المسلم أن هذا الفعل واجب ثم تجده معرضاً عنه، أو يعلم أن ذلك الفعل حرام ثم تراه منكبّاً عليه، ولأجل هذا اهتم العلماء بهذا الجانب، فكتبوا فيه، فمن ذلك كتاب : (اقتضاء العلم العمل)، للخطيب البغدادي، وكتاب : (ذم من لا يعمل بعلمه) للحافظ أبي القاسم ابن عساكر رحمة الله تعالى عليهما.

قال ﷺ : «لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»[٢].

٣ ـ الدعـوة إلى الله بمـا معه من العلـم :

ومن ثمار العلم : بذله للناس، وهو من تبليغ العلم المأمور به في مثل قول النبي ﷺ : «بلّغوا عنّي ولو آية»[٣].

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة ٣/ ١٥١٣ ح (١٩٠٥).
(٢) رواه الطبراني في الكبير ٢٠/ ٦١ من معاذ، وهذا لفظه، قال المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٣٩٦ : إسناده صحيح، ورواه الترمذي بنحوه ٤/ ٦١٢ ح (٢٤١٧)، عن أبي هريرة، وقال : حسن صحيح، ورواه غيرهم. (انظر : السلسلة الصحيحة رقم ٩٤٦).
(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦/ ٤٩٦ ح (٣٤٦١).

٤ ـ التـواضـع :

فلا يترفع عن الآخرين عُجبا بنفسه وما وصل إليه من علم، ولا يحتقر الناس ويزدريهم، فالكبر خلق مذموم، والتواضع واللين خلق محمود، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلاّ رفعه»[١].

ومن علامات التواضع : العطف على الصغير، واحترام الكبير، وألا يرى في نفسه أنه أعلى قدرًا من أقرانه.

٥ ـ أن يتأدب الطالب مع معلّمه : فيحترمه ويجلّه، ويتأدب معه في السؤال، ولا يسابقه الجواب أو الكلام، ولا يقاطعه، بل ينصت إلى كلامه، ولا يتحدث مع أحدٍ أثناء كلام المعلم.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه أخذ بركاب زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ فقال له : (تَنَحَّ يا ابن عمّ رسول الله ﷺ)، فقال ابن عباس : (إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا)[٢].

٦ ـ عدم الجرأة على الفتوى وإصدار الأحكام بدون علم، وليكن شعاره فيما لا يحيط بعلمه أن يقول : (لا أعلم)، أو (لا أدري)، فليس أحدٌ يزعم أنه يعرف كل شيء، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : إن الذي يفتي الناس في كل ما يُستَفتَى لمجنون، وقال الشعبي : لا أدري نصف العلم[٣].

تظهر خطورة القول ـ في الدين ـ بغير علم إذا علمتَ أنك في الحقيقة لا تخبر عن رأيك، وإنما تخبر عن حكم الله تعالى ورسوله ﷺ، فكأنك تقول لمن سألك : هذا هو حكم الشرع في ذلك، قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ...﴾ الآية[٤]، وقال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٥].

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع ٢٠٠١/ ٤ ح (٢٥٨٨).
(٢) رواه الحاكم في مستدركه ٤٢٣/ ٣، وقال : صحيح الإسناد على شرط مسلم.
(٣) رواهما الدارمي ٥٦/ ١ ، ٥٧ .
(٤) آية ٣٦ من سورة الإسراء.
(٥) آية ٣٣ من سورة الأعراف.

ولنا في رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف الصالح أسوة حسنة، فقد كانوا إذا سئلوا عما لا يعلمون قالوا : (لا ندري)، أو (لا نعلم)، أو (اللّه أعلم)، وإليك مثالاً واحداً على ذلك :

عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : أي البلاد شرّ ؟ قال : «لا أدري حتى أسأل» فسأل جبريلَ عن ذلك، فقال : «لا أدري حتى أسأل ربي» فانطلق فلبث ما شاء اللّه، ثم جاء، فقال : «إني سألت ربي عن ذلك فقال : شرّ البلاد الأسواق»[١].

قال الحاكم : هذا الحديث أصلٌ في قول العالم : لا أدري.

٧ ـ **أن يتلقى العلم على أهله، وهم العلماء**، ولا يأخذ عن كل من هبَّ ودبَّ، فإن المتكلمين كثير، وكثير منهم لا يتورع عن إطلاق التحليل والتحريم بدون علم.

٨ ـ **محبة العلماء، وتقدير جهودهم، الحيّ منهم والميّت، وعدم انتقاص أحد منهم**، فإن ذلك مزلة قدم، قال ﷺ : «قال اللّه تعالى : من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب»[٢].

قال أبو حنيفة والشافعي رحمهما اللّه تعالى : إن لم يكن العلماء أولياء للّه فليس للّه ولي[٣].

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه اللّه تعالى : إن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وإن من أطلق لسانه في العلماء بالثلْب، ابتلاه اللّه تعالى قبل موته بموت القلب[٤].

٩ ـ **الاستمرار في طلب العلم، وعدم التوقف عند حدّ معيّن**، وليس الغرض مجرد تحصيل شهادة معينة ثم ينتهي التعلّم، بل يستمر في تحصيل العلم وزيادته إلى آخر العمر، قال الإمام أحمد : إنما أطلب العلم إلى أن أدخل القبر[٥].

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٨١، والبزار (كشف الأستار ٢/ ٨١)، (١٢٥٢)، والطبراني (١/ ١٢٨)، والحاكم (١/ ٨٩، ٩٠)، وغيرهم، وقال الحافظ ابن حجر : هذا حديث حسن. (موافقة الخبر الخبرَ في تخريج أحاديث المختصر ١/ ١٠، ١١) وقد ذكر في هذا الكتاب جملة من الآثار عن السلف، وانظر أيضاً : سنن الدارمي ١/ ٣٥ ـ ٥٦ باب الفتيا وما فيه من الشدة.

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ١١/ ٣٤٠ ح (٦٥٠٢).

(٣ و ٤) عن التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، الباب الثالث ص ١٢ .

(٥) عن مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم رحمه اللّه تعالى ١/ ٧١ (الوجه السادس والخمسون)، وانظره للاستزادة.

١٠ ـ **خدمة أمته ووطنه في المجال الذي يحسنه ويتقنه**، وهذا من العمل بالعلم.

وأخيرًا فليحذر الطالب من القراءة غير النافعة، فإنها تضيّع الزمان، وتشوّش الفكر، وقد تفسد العقائد، وليحرص على الانتقاء، وليسأل عما يقرأ مَن يثق به من عالم وأستاذ ومُرَبٍّ، وليس المراد بالعلم مجرّد القراءة، فإن القرّاء اليوم كثير، ولكن العلماء قليل.

الأسئلة

س١ : ما حدّ العلم الواجب ؟ مع التمثيل.

س٢ : اذكر ما يمكنك من أدب للطالب مع أستاذه.

س٣ : تحدث عن خطورة الفتوى بغير علم، وهل صحيح أنها منتشرة بين الناس اليوم ؟ وضح ذلك ذاكراً بعض ما تعرفه من مظاهر التسرع في الفتوى.

س٤ : تحدث عن محبة العلماء وتقديرهم.

س٥ : القراءة نوعان : نافعة وأخرى غير نافعة، اجتهد في وضع تحديدٍ لمفهوم كل نوع منها، واذكر أمثلة لذلك.

الفصل الدراسي الثاني

أولاً : الحـديـث الشـريـف

الحديث الخامس

عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال : إنِّي سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضّة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» متفق عليه[1].

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل : حذيفة بن اليمان : حِسْل بن جابر العبسي، أسلم هو وأبوه، وشهد أحدا، وقُتل اليَمان بها. روى أحاديث كثيرة، وكان صاحب سرّ رسول اللّٰه ﷺ فيخبره عن المنافقين وأحوالهم، استعمله عمر ـ رضي الله عنه ـ على المدائن، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ لا يصلي على من لا يصلي عليه حذيفة، توفي ـ رضي الله عنه ـ بعد مقتل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بأربعين يوماً، سنة ست وثلاثين[2].

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
الديباج :	أصله في اللغة من : الدبج، وهو النقْش والتزيين، فارسي معرَّب، وهي الثياب المتخذة من الإبريسم، والمدبَّج : الذي زينت أطرافه بالديباج.
صحافها :	جمع صَحْفة، وهي الإناء الذي يُشبع الخمسة.
فإنها لهم :	أي إن آنية الذهب والفضة للكفار في الدنيا، وهذا إخبار عن واقعهم وحالهم، وليس إخباراً عن حِلّها لهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الشرب في آنية الذهب، ٩٤/ ١٠، برقم ٥٦٣٢، وفي ٩٦/ ١٠ برقم ٥٦٣٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ١٦٣٨/ ٣ برقم (٢٠٦٧)، واللفظ لمسلم.

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣٦١/ ٢، والإصابة ٢٢٣/ ٢ .

١ ـ النهي عن لبس الحرير والديباج للرجال دون النساء، وهذا النهي يقتضي التحريم، يؤيد ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : «حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأُحِلَّ لإناثهم»(١).

ويستثنى من هذا التحريم ما كان للضرورة أو لحاجة أو لمصلحة، كأن يحتاج إلى لبسه في ساحة القتال، أو يكون به مرض في جلده ونحو ذلك، فقد روى البخاري وغيره عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : «رخّص النبي ﷺ للزبير وعبدالرحمن في لبس الحرير؛ لحكّة بهما»(٢).

٢ ـ مما يدل عليه الحديث : النهي عن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، والنهي يقتضي التحريم، ويدخل في النهي أيضاً : سائر الاستعمالات الأخرى كالوضوء والاغتسال، واتخاذها للزينة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ما حرم استعماله حرم اتخاذه)(٣).

ويؤيد ما تقدّم ما ورد من الوعيد الشديد في ذلك، فقد روى البخاري ـ رحمه الله ـ عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»(٤).

٣ ـ ذُكِر في الحديث علة النهي عن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة بأنها آنية أهل الجنة، واستنبط العلماء عللاً أخرى، وهي :

(أ) أنها تجلب الكبر والخيلاء.

(ب) استعمالها يكسر قلوب الفقراء والمساكين.

(جـ) مشابهة الكفار؛ لأنهم يستعملونها في الدنيا.

(د) أن في استعمالها ضياعاً للأموال وتبذيراً وإسرافاً.

---

(١) ينظر : سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في الحرير والذهب ٤/ ٢١٧، وقال : حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب ما يرخص للرجال من الحرير للحكّة ١٠/ ٢٩٥ .

(٣) نقلاً عن حاشية الروض المربع، لابن قاسم ١/ ١٠٣ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب الشرب في آنية الفضة، ١٠/ ٩٦ .

٤ ـ ما ذكر من تحريم استعمال آنية الذهب والفضة. يدخل فيه المطليّ بالذهب أو الفضة، فإنه لا يجوز استعماله، أما المطلي بلون الذهب وليس بذهب حقيقة فلا يدخل في التحريم.

٥ ـ مما ينبغي على المسلم أن يتجنب كل ما يؤدي إلى الترف والإسراف الذي يربي في النفس الكبر والخيلاء والغرور والتعالي على الناس.

٦ ـ على المسلم أيضاً أن يتجنب كل ما فيه مشابهة للكفار، فالرسول ﷺ نهى عن مشابهتهم في مواضع عديدة، وذلك لأن للمسلم شخصيته المتميزة المبنية على تنفيذ تعاليم دينه.

الأسئلـة

س١ : بيّن مرجع الضمائر الآتية : (صحافها)، (فإنها)، (لهم).

س٢ : ما حكم استعمال الإبريق المصبوغ بالذهب؟

س٣ : ما حكم اتخاذ قلم أو ساعة من الذهب للرجال والنساء ؟ وما الدليل على ذلك ؟

س٤ : ما الحكمة من تحريم استعمال الحرير للرجال ؟

الحديث السادس

١ عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: «لقد نهانا رسول الله ﷺ أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم» رواه مسلم[١].

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل أبو عبدالله سلمان الفارسي، يعرف بسلمان الخير، أصله من فارس، وكان مجوسياً ثم أسلم وأصبح مولى لرسول الله ﷺ، وهو الذي أشار بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، كان من خيار الصحابة وزهّادهم وفضلائهم، ومن عقلاء الرجال ونبلائهم، اختلف في زمن موته، فقيل: مات في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ، وقيل: في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ[٢].

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
نستنجي :	الاستنجاء: مأخوذ من: نَجوت الشجرة وأنجيتها إذا قطعتها، سمي بذلك لأنه يقطع الأذى عنه. والاستنجاء شرعاً: إزالة الخارج من السبيلين عن مخرجه بالماء أو بالأحجار ونحوها، والغالب أن ما كان بالحجارة ونحوها يطلق عليه الاستجمار.
باليمين :	المراد باليد اليمنى.
برَجيع :	هو الروث.

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الاستطابة ٢٢٣/ ١ برقم (٢٦٢).
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٠٥/ ١، وتهذيب التهذيب ١٣٧/ ٤ .

١ ـ في الحديث نهي عن استقبال القبلة أثناء قضاء الحاجة، والنهي يقتضي التحريم، وخصّ جمهور العلماء هذا النهي في الصحراء، أما إذا كان قضاء الحاجة في البنيان فجائز؛ لما روى البخاري وغيره عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: (ارتقيتُ فوق بيت حفصة لبعض حاجتي، فرأيت الرسول ﷺ يقضي حاجته مستدبر القبلة، مستقبل الشام)(١).

ورأى بعض أهل العلم أن النهي للكراهة مطلقاً، سواء كان في الصحراء أو في البنيان، جمعًا بين الأدلة.

والأولى للمسلم أن يحرص على احترام القبلة فلا يستقبلها ولا يستدبرها حال قضاء الحاجة، حتى ولو كان في البنيان.

٢ ـ النهي عن الاستنجاء باليد اليمنى؛ لأن اليد اليمنى لا تستعمل إلا في الأشياء المستحسنة، كالأكل والشرب والمصافحة ونحوها، وعليه فاليد اليسرى تكون لغير ذلك.

وذكر أهل العلم أن النهي للكراهة، فإذا كانت هناك حاجة في استعمالها لغير الأشياء المستحسنة كالاستنجاء فلا بأس.

٣ ـ حدَّدَ الحديث عدد الحجارة التي يستنجى بها، وذلك بأن لا تقل عن ثلاثة أحجار، وعليه فلا يجوز الاقتصار على الثلاثة إلا إذا حصل تنظيف المحل، فإن لم يحصل فلا بد من الزيادة حتى يحصل التنظيف والإنقاء.

٤ ـ استعمال الحجارة نيابة عن الماء، ولذا فالأفضل الجمع بينهما، فإن لم يكن فالاقتصار على الماء، ويجوز الاقتصار على الحجارة أو ما يقوم مقامها كالمناديل والورق ونحوها مما ينقي وينظف.

٥ ـ ضرب رسول الله ﷺ مثلا للأشياء التي لا يجوز الاستنجاء بها، وهي: الرجيع، والعظم، ويدخل في الحكم ما في معناها، مثل:

(أ) المطعومات بأنواعها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب التبرز في البيوت ١/٢٥٠ رقم (١٤٨)، ومسلم في الطهارة باب الاستطابة ١/٢٢٥ رقم (٢٦٦).

(ب) ما لا ينظف ويزيل الخارج، مثل الزجاج وما في حكمه.

(جـ) الأشياء النجسة؛ لأن النجس لا يزيل النجاسة.

٦ ـ دين الإسلام دين الطهر والنظافة الظاهرة والباطنة، فكما يريد الإسلام نظافة الظاهر من النجاسات والأوساخ، فهو يحرص على طهارة الباطن من الأدران والأحقاد والحسد ونحوها.

٧ ـ احترام الإسلام للمقدسات، وعدم إهانتها حتى فيما لا يظن أنه إهانة، فالقبلة التي تصلي تجاهها وتستقبلها حال دعائك لا ينبغي أن تستقبلها حال قضائك لحاجتك.

٨ ـ الأشياء المحترمة من المآكل والمشارب والأوراق التي فيها ذكرٌ لله عز وجل ونحوها لا يجوز أن تباشر الأشياء النجسة.

٩ ـ الإسلام دين شامل لجميع شؤون الحياة، فليس في الإسلام فصل بين أمور العبادات وسائر أمور الحياة، بل لا بد أن تكون الحياة كلها وفق شريعة الله تعالى.

الأسئلة

س١ : ما المراد بالاستنجاء ؟

س٢ : بأي شيء يكون الاستنجاء ؟

س٣ : ما حكم الاستنجاء بما يلي، مع التعليل :

(أ) الورق. (ب) المنديل. (جـ) الروث. (د) الحديد. (هـ) البلاط الأملس.

س٤ : يدل الحديث على اهتمام الإسلام بالنظافة، أورد أمثلة أخرى من مظاهر اهتمامه بها.

س٥ : دل الحديث على احترام المقدسات الإسلامية. وضِّح ذلك، ثم بيّن أمثلة أخرى على احترام المقدسات مما لم يذكر في الحديث.

الحديث السابع

٧ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوسَ في الطرقات» فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بدّ نتحدث فيها، فقال: «فإذا أبَيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حقّ الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» متفق عليه، واللفظ للبخاري(١).

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل، أبو سعيد الخدري، واسمه: سعد بن مالك بن سنان، الخزرجي الأنصاري الخدري، نسبة إلى خدرة، حيّ من الأنصار، استشهد أبوه يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق، وبَيعة الرضوان، روى عن النبي ﷺ ألفًا ومئة وسبعين حديثًا، وكان أحد الفقهاء المجتهدين، مات ـ رضي الله عنه ـ سنة أربع وسبعين(٢).

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
إياكم:	للتحذير، والمعنى: احذروا الجلوس في الطرقات.
والجلوس في الطرقات:	«الجلوس» منصوبة، أي: احذروا الجلوس.
والطرقات:	بضم الطاء والراء، جمع طُرُق، بضم الطاء والراء أيضاً، وطُرُق: جمع طريق. والمقصود التحذير من الجلوس في الشوارع والأسواق والأماكن العامة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها، ٥/١١٢ برقم ٢٤٦٥، وفي كتاب الاستئذان ٨/١١ برقم (٦٢٢٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات ٣/١٦٧٥ برقم (٢١٢١).
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/١٦٨، وتهذيب التهذيب ٣/٤٧٩.

	وفي رواية عند مسلم : «كنا قعودا بالأفنية»، والأفنية : جمع فناء، وهو المكان المتسع أمام البيت.
ما لنا من مجالسنـا بد :	أي إذا امتنعتم عن ترك الجلوس في هذه الأماكن.
فأعطـوا الطـريق حقـه :	في رواية : (حقها)، والطريق يذكّر ويؤنّث، والمعنى : إذا كان لا بد لكم من الجلوس فامتثلوا آداب الطريق وحقوقه الواجبة عليكم.
غضّ البصـر :	أي عمّا لا يحل النظر إليه، وأصل الغض : إطباق الجفن على الجفن بحيث تمتنع الرؤية.
كفّ الأذى :	أي عن المارّين بقول أو فعل من نحو التضييق عليهم أو احتقارهم وغمزهم، وما شابه ذلك.

الأحكام والتوجيهات

١ ـ يهدف الإسلام إلى الرقيّ بالمجتمع المسلم إلى معالي الأمور، وسموّ الأخلاق، وعلوّ الآداب، وينأى بأفراده عن كل خلقٍ سيّء أو عملٍ مشين، ويريد أن يكون المجتمع مجتمع محبة وأُلفة، تربط بين عناصره الأخوة والمودة، ألاً ترى إلى تلك المناقشة الهادفة بين قائد الأمة وأفرادها حول ظاهرة اجتماعية مهمة، لو بقيت على وضعها لأفسدت المجتمع، فدلّهم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلى الوضع السليم تجاهها.

٢ ـ تكامل الدين الإسلامي في تشريعه وأخلاقه وآدابه، وفي رعاية حقوق الآخرين، وفي كل شؤون الحياة، تشريع لا يكاد يوجد في أيّ دين أو مذهب.

٣ ـ الأصل في الطريق والأفنية العامة أنها ليست للجلوس؛ لأنه يترتب على الجلوس فيها أضرار، منها :

(أ) التعرض للفتنة.

(ب) إيذاء الآخرين بالسب والغمز واللمز.

(جـ) الاطلاع على الأحوال الخاصة للناس.

(د) ضياع الأوقات بما لا فائدة منه.

٤ ـ عرَض الرسول ﷺ في هذا الحديث بعض حقوق الطريق، وهي :

(أ) غض البصر وكفّه عن النظر في المحرمات، فالطريق معرّض لمرور النساء اللاتي يقضين حوائجهن، وغض البصر عن المحرمات من الواجبات التي يجب التقيد بها في كل الأحوال والظروف، يقول تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[١].

(ب) كف الأذى عن المارة بجميع أنواعه، كبيراً أو صغيراً، مثل الاعتداء بالكلام السيء، كالسباب والشتائم، والغيبة، والاستهزاء، والسخرية، وكذا الاعتداء بالنظر في بيوت الآخرين بدون إذنهم، ويدخل في الإيذاء أيضاً لعب الكرة بالأفنية أمام البيوت، فهي مصدر إيذاء لأهلها، وغير ذلك.

(جـ) ردّ السلام، وقد أجمع أهل العلم أن ردّ السلام واجب، يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[٢]، ومن المعلوم أن الابتداء بالسلام سنة يؤجر فاعلها، والسلام تحية المسلمين، فهو دعاء بالسلامة والرحمة والبركة.

(د) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا هو الحق الرابع المذكور في الحديث، وخص بالذكر؛ لأن الطريق ونحوه مظنة وجود المنكرات فيه.

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على هذا المبدأ العظيم، منها قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[٣].

٥ ـ وردت نصوص أخرى تذكر بعض حقوق الطريق، ومنها : حسن الكلام، وتشميت العاطس، وإغاثة الملهوف، وإعانة العاجز، وهداية الجيران، وإرشاد السبيل، وردّ ظلم الظالم، جمعها الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ بقوله :

---

(١) الآية ٣٠ من سورة النور.
(٢) الآية ٨٦ من سورة النساء.
(٣) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

جمعت آداب من رام الجلوس على الطْـ   طَـريق من قـول خـير الخلق إنسـانـًا
أفش السـلام، وأحسن في الكلام وشَمْـ   ـمتْ عاطسـاً، وسلامـاً ردّ إحسـانـًا
في الحمـل عـاون، ومظلومـاً أعن وأغث   لهفـان، اهْـد سبيـلاً، واهْـد حـيرانـًا
بالعـرف مُر، وانـه عـن نكر، وكـف أذى   وغُـضّ طرفـاً، وأكثـر ذكـر مـولانـا[1]

الأسئلـة

س١ : ما الأصل في الطريق، والأفنية العامة ؟

س٢ : اذكر دليلاً على عدم جواز النظر للمحرمات.

س٣ : الأمر بالمعروف واجب من الواجبات ، اذكر بعض فوائده.

س٤ : ما رأيك في الكتابة على الجدران ؟ وهل تدخل ضمن إيذاء الآخرين ؟

س٥ : الحديث يدل على حرمة المسلم، وضّح ذلك.

س٦ : (صباح الخير، ومساء الخير) هل يجوز أن تكون بداية السلام ؟ ولماذا ؟

---

(١) ينظر : فتح الباري ١١/ ١١ .

الحديث الثامن

٨ عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا زعيم ببيت في ربَض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقّاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خلقه» رواه أبو داود بإسناد حسن[١].

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل أبو أمامة الباهلي، اسمه : صُدَيّ بن عجلان، صاحب رسول الله ﷺ، روى علماً كثيراً، مات سنة إحدى وثمانين، وقيل سنة ست وثمانين، رضي الله عنه وأرضاه[٢].

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
الزعيم :	الضامن والكفيل، ومنه قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنَا بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾[٣].
البيت :	المراد به هنا : القصر.
رَبَض الجنة :	بفتح الراء والباء، والمراد به هنا : أسفل الجنة.
المراء :	بكسر الميم، والمراد به هنا : الجدال، يقال : ماريته إذا طعنت في قوله تزييفًا للقول، وتصغيرًا للقائل.
مُحِقًّا :	بضم الميم وكسر الحاء وتشديد القاف، أي : وإن كان الحق معه فيما يجادل فيه.
الكَذب :	ضد الصدق، وهو الإخبار بخلاف الواقع.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب ـ باب في حسن الخلق ٥/ ١٥٠ والطبراني في الكبير ٨/ ٩٨ ح ٧٤٨٨ وقال ابن القيم في مدارج السالكين ٢/ ٣٠٧ رواه الطبراني وإسناده صحيح وبنحوه، أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المراء من حديث أنس بن مالك ٤/ ٣٥٨ .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٩، وتهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٠ .

(٣) آية ٧٢ من سورة يوسف.

١ ـ الداعية الناجح والمربّي الناصح، هو الذي يعرض ما لديه من فوائد وآداب وأخلاق بصورة مرغّبة مشوّقة حتى يتلقاها السامع بكل شوق وتلهّف، فيقبلها قبولاً كريماً، وهكذا كان رسول اللّه ﷺ، فهو هنا يذكر بعض هذه الضمانات لمن قام بهذه الآداب.

٢ ـ الجنة أعلى ما يطلبه الطالبون، وأنفَس ما يتنافس فيه المتنافسون، قد أفلح من يسعى إليها، وفاز من يظفر بها، وسعد من يعمل لأجل الحصول عليها، ثمنها غالٍ، وهو سهلٌ لمن سهّله اللّه عليه، والرسول ﷺ يضمنها لمن قام بهذه الأعمال الجليلة.

٣ ـ في الجنة درجات كثيرة أعدها اللّه عز وجل لعباده المؤمنين، وفي الحديث بين الرسول ﷺ درجات لمن تحلى بأحد خصال ثلاث : –

(أ) ترك المراء وصاحبه في ربَض الجنة، وإنما وعِد بهذه الدرجة لأنه ترك الجدال العقيم الذي لا فائدة منه، والذي يصحبه رفع الصوت، وتكلف الحجة، ويؤجج الشحناء والبغضاء، ولا يوصل إلى الحق المطلوب، والمؤمن الحق هو الذي يترك هذا الجدال حتى ولو كان يعتقد جازماً أنه على الحق.

(ب) ترك الكذب وإن كان مازحًا، وصاحبه في وسط الجنة، وحصلت له هذه الدرجة ببعده عن الكذب بقوله وفعله، والتزم الصدق، فلا ينطق إلا حقاً وصدقاً، ولا يخبر إلا بما هو صدق. والكذب خصلة من خصال المنافقين، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول اللّه ﷺ قال : «آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمِن خان»[١].

والكذب كبيرة من كبائر الذنوب، نتيجته وخيمة، وعاقبته ضارة.

قال : رسول اللّه ﷺ «إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهـدي إلـى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللّه كذّابا»[٢].

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول اللّه تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾، في ١٠/ ٥٠٧ برقم(٦٠٩٥).

(٢) البخاري في صحيحه، الموضع السابق، رقم (٦٠٩٥).

هذا الوعيد الشديد للكذب، حتى ولو كان لمجرد إضحاك الناس، فقد جاء في الحديث: «ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم، ويل له، ويلٌ له»[١].

ومن أشد أنواع الكذب: الكذب على الله تعالى أو على رسوله ﷺ، وكذا الكذب المتعلق بالأموال.

(جـ) حسن الخلق وصاحبه في أعلى الجنة، ويحصل عليه مَن كانت صفاته حميدة، وخلقه حسنا، وتعامله كريماً، مقتدياً بالرسول ﷺ، الذي مدحه الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[٢].

وحسن الخلق أكثر الأعمال التي ترفع قدر المسلم عند الناس في الدنيا، وعند الله في الآخرة، روى الترمذي ـ رحمه الله ـ عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»[٣].

٤ ـ العلاقات الاجتماعية، والروابط بين الناس ينبغي أن تسودها الألفة والمحبة والأخوّة والمودة، وأن تكون خالية من الأحقاد والضغائن، والغلّ والحسد، هكذا يريدها الإسلام ويسعى إليها، وعليه فالمسلم قلبه أبيض نقيٌّ خالٍ من الأمراض والشوائب التي تعكّر صفو هذه العلاقات.

٥ ـ دَرْء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح في شريعة الله، فكل كلام أو جدال أو فعل يؤدي إلى الوقوع في مفسدة، يجب تركه والابتعاد عنه[٤].

(١) رواه أصحاب السنن ما عدا ابن ماجه، ينظر سنن الترمذي، كتاب الزهد ٥٥٧/ ٤، وقال فيه: حديث حسن، وقال ابن حجر رحمه الله: (إسناده قوي)، ينظر: سبل السلام ٤/ ٣٩٨.

(٢) الآية ٤ من سورة القلم.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق ٣٦٢/ ٤، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) ينظر في القاعدة كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٧، والوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية للدكتور محمد صدقي البورنو ص ٢٠٨.

الأسئلـــة

س١ : ما معنى الكلمات الآتية :

(زعيم ، ربَض ، المِراء) ؟

س٢ : مِن صفات المؤمن : الخلق الحسن، ما ثمرة ذلك ؟

س٣ : اذكر فائدتين من فوائد الحديث.

س٤ : (هِمّة المسلم عالية) وضّح المراد بهذه الجملة من خلال دراستك للحديث.

س٥ : زميلك أخطأ عليك بكلمة خاطئة، ما موقفك منه ؟

س٦ : مثّل للقاعدة الجليلة : دَرْء المفاسد مقدَّم على جَلْب المصالح.

الحديث التاسع

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال:

«يا غلام، إني أعلّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

التعريف بالراوي

سبق التعريف به في الحديث الأول.

المباحث اللغوية

الكلمة	معناها
يا غلام:	الغلام هو: الصبي الصغير، ويطلق على الشخص من حين ولادته إلى أن يبلغ سن الشباب.
احفظ الله:	يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه.
يحفظك:	المعنى أن يحفظه الله في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله، وأن يحفظه في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظه عند موته فيتوفاه على الإيمان والإسلام.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب صفة القيامة باب ٥٩ ، ٤/ ٦٦٧ برقم ٢٥١٦، ورواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٩٣ .

تجـلهتُجـاهـك:	معك في كل أحوالك بالنّصر والتوفيق والسّداد.
إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله:	هذه موافقة لما يقول المسلم في كل ركعة من ركعات صلاته : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1].

الأحكام والتوجيهات

١ ـ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلّية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء : تدبرت هذا الحديث فأدهشني، وكدت أطيش، فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلّة التفهم لمعناه[2].

٢ ـ اهتمام النبي ﷺ بتوجيه أمته، وتنشئتها على العقيدة السليمة والأخلاق الفاضلة والسلوك المستقيم، فنلاحظ هنا أنه حين ركب معه هذا الغلام الصغير لقّنه كلمات قليلة الألفاظ، كثيرة المعاني، لها آثارها ونتائجها الطيبة في الدنيا والآخرة.

٣ ـ على المربي ـ أبًا أو معلماً أو غيرهما ـ أن يستغل المناسبات ليُهدي الوصايا النافعة لمن يقوم على تربيتهم، وأن يستعمل الأسلوب الحسن، والطريقة الجيّدة لإيصال هذه الوصايا، مثل : التشويق للمعلومة قبل ذكرها، كما فعل الرسول ﷺ.

٤ ـ على المؤمن مسؤولية عظيمة في هذه الحياة، ذلكم هو حفظ الله تعالى، المتمثّل في القيام بأوامره واجتناب نواهيه وزواجره، والوقوف عند حدوده فلا يتجاوزها، وأن يستصحب هذه الخطوط العريضة في جميع شؤون حياته.

٥ ـ وردت أعمال خُصَّت من الشارع الحكيم بالأمر، أو بالحثّ على حفظها، فعلى سبيل المثال :

(أ) الصلاة، جاء فيها قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ...﴾ الآية[3].

(١) آية ٥ من سورة الفاتحة.
(٢) ينظر : جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٤٦٢/١ شرح الحديث رقم (١٩).
(٣) آية ٢٣٨ من سورة البقرة.

(ب) الطهارة والوضوء، روى الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم، وغيرهم، عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[١].

(جـ) الأيمان، قال تعالى : ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ...﴾ الآية[٢].

(د) الجوارح، مثل : اللسان، والفرج، روى الحاكم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : «من حفظ ما بين لحييه، وما بين رجليه، أضمن له الجنة»[٣].

٦ ـ أن من حفظ اللّه وراعاه في جميع شؤون الحياة، تكفّل اللّه بحفظه في دنياه، فيحفظه في بدنه، وفي ولده وأهله وماله.

وعليه : فمن حفظ اللّه في صغره وشبابه وحال قوّته وصحته حفظه اللّه في حال كبره وضعف قوّته، ومرضه، ومتّعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله.

كما أنه يحفظه في دينه من الوقوع في الشبهات المضلة التي يزيغ بها عن الصراط المستقيم، ومن الوقوع في الشهوات المحرمة التي يزيّنها الشيطان ويسهل له الوقوع فيها.

٧ ـ من نتائج حفظ اللّه تعالى في الدنيا حفظه لعبده عند موته من الزيغ والهلاك، فيتوفّاه على شهادة الحق : لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، فمن كانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة.

وكذا يحفظه في قبره، وما يأتي بعده من الحشر، وأحوال الآخرة، فاحفظ اللّه يحفظك، واحفظه تجد هتجاهك ،يقول تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده بتحقيق أحمد شاكر ٦/٣٨١، وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء ١٠١/١، ورواه وصححه الحاكم على شرط الشيخين.

(٢) آية ٨٩ من سورة المائدة.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٣٥٧/ ٤، وصححه، ووافقه الذهبي، وأصل الحديث في البخاري، لكن بلفظ : (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ح ٦٤٧٤ .

(٤) آية ٣١ من سورة ق.

٨ ـ من ثمرات حفظ الله تعالى : الأمن من الخوف في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

وقال النبي ﷺ لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وهما في الغار عند هجرتهما إلى المدينة النبوية : «ما ظنّك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا»[2].

٩ ـ الإنسان في هذه الحياة متقلّب بين الغنى والفقر، والصحة والمرض، والقوة والضعف، والشباب والكِبَر، وهكذا، فكن مع الله تعالى في غناك وصحتك وقوتك وشبابك، يكن معك في حال فقرك ومرضك وضعفك وكِبَرك.

١٠ ـ من أسباب حفظ الله تعالى :

(أ) القيام بالفرائض على الوجه الأكمل، كأداء الصلاة في وقتها جماعة في المسجد.

(ب) التقرب بما استطاع من النوافل، كالسنن الراتبة، والوتر، وصيام بعض الأيام من الشهر أو السنة.

(جـ) الدعاء ليلاً ونهاراً، وسؤال الله تعالى أن يحفظه دائماً وأبداً في دينه ودنياه.

(د) صحبة الصالحين الذين يقربونك من مولاك ويشجعونك على طاعته، ويحفظون عليك دينك.

(هـ) طلب العلم النافع الذي تعرف به ربك وخالقك، وأوامره ونواهيه.

١١ ـ الدعاء هو العبادة، وقد ندب الله تعالى إليه بقوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ .. ﴾ الآية[3]، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ... ﴾ الآية[4].

وللدعاء ثمرات، منها

(أ) سؤال الله، والذلّة له، وإظهار الحاجة والفقر إليه.

(ب) تلبية لحاجات الداعي من جلب النفع ودفع الضر.

---

(١) آية ٤٦ من سورة طه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين ٨/ ٧ .

(٣) آية ٦٠ من سورة غافر.

(٤) آية ١٨٦ من سورة البقرة.

(جـ) الأجر العظيم، والثواب الجزيل، ومغفرة الذنوب، وتكفير السيئات.

(د) الأمن والأمان، واستشعار معيّة الله تعالى.

(هـ) تحقيق لقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[1].

١٢ ـ مما يستفاد من هذا الحديث العظيم أنه لا يُسأل إلا الله، ولا يستعان إلا بالله، ولا يستغاث إلا بالله، ولا يُلجَأ إلا إلى الله، ولا يصرف أيّ نوع من العبادة إلا لله كائناً من كان، ولا تتحقق الإجابة ونيل المقصود إلا بهذا الإخلاص المتجرد لله تعالى.

١٣ ـ ما يصيب العبد في دنياه مما يضره أو ينفعه، فكله مقدّر عليه، ولا يصيب العبد إلا ما كتب له من مقادير ذلك في الكتاب السابق، ولو اجتهد على ذلك الخلقُ كلهم جميعاً، قال تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ...﴾ الآية[2]، وقال سبحانه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ...﴾ الآية[3].

١٤ ـ الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان، ولا يعني هذا الاستسلام للشبهات والرغبات والخوض في الانحرافات والضلالات، فليس الأمر كذلك، فإن الذي أمرنا بالإيمان بالقضاء والقدر هو الذي أمرنا بالعمل والجد والإنتاج، روى مسلم ـ رحمه الله ـ أن رسول الله ﷺ قال : «اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خلق له»[4].

---

(١) آية ٥ من سورة الفاتحة.

(٢) آية ٥١ من سورة التوبة.

(٣) آية ٢٢ من سورة الحديد.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب خلق الآدمي في بطن أمه ١٥٠/١٢ (شرح النووي).

الأسئلــة

س١ : قال ﷺ : (احفظ اللّه يحفظك) وضّح المراد بهذه الجملة.

س٢ : هناك أسباب معينة لحفظ اللّه تعالى، اذكر ثلاثة منها.

س٣ : من يحفظ اللّه يجد ثمرات ذلك في الدنيا والآخرة، تحدّث عن ذلك.

س٤ : قال ﷺ «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك» هل يعني هذا أن لا يستعين الإنسان بالآخرين في حاجاته . وضح ذلك بالتفصيل.

س٥ : رجل جالس في بيته، ولا يعمل، ويقول رِزقي يأتيني وأنا هنا، ما رأيك في هذه المقالة؟ مدعماً له بالدليل .

س٦ : رجل مريض، وينتقل لعلاج مرضه من مستشفى إلى آخر كيف ترى تصرّفه هذا ؟

ثانياً : الثقافة الإسلاميـة

التدخين

كيف يُعرَف حكم الأشياء الحادثة ؟

جعل اللّٰه الدين الإسلامي خاتم الأديان، وأودع فيه أحسن تشريع وأكملُه، وحفظ اللّٰه لهذا الدين أساسه الذي يبنى عليه، وهو الكتاب والسنة، وجعله صالحاً لكل زمان ومكان، فهو دينه الذي ارتضاه للبشرية كلها.

ولضرورة بقاء هذا الدين، فقد نوّع اللّٰه تعالى أدلته الدالة على أحكامه وتشريعاته وهي في الجملة نوعان : -

١ ـ أدلة خاصة، تدل على شيء بعينه، كالنصوص الواردة في أحكام الطهارة، والصلاة، والحج، وغير ذلك.

٢ ـ أدلة عامة، هي في حقيقتها قواعد عامة يدخل فيها من الأحكام ما لا حصر له، وهذه قد تكون آيات، كقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ... ﴾ الآية[١]، أو أحاديث، كقوله ﷺ : «لا ضرر ولا ضرار»[٢].

ومن خلال هذه القواعد يعرف حُكم الأشياء الحادثة بعد عهد النبوة، ومنها : التدخين.

حكم التدخين

حكمه : حرام، والأدلة على ذلك ما يلي :

١ ـ من القواعد الشرعية المقررة أن اللّٰه تعالى أباح لعباده الطيبات، وحرّم عليهم الخبائث، ودليل ذلك قوله تعالى في وصف رسوله ﷺ : ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[٣]. ولا يرتاب عاقل في دخول الدخان في الخبائث؛ لما يسببه من أضرار معلومة يأتي بيانها.

---

(١) آية ٢ من سورة المائدة.

(٢) رواه أحمد، وابن ماجه، وغيرهما، وقد سبق تخريجه في موضوع : (الطاعة) ص ٦٠ .

(٣) آية ١٥٧ من سورة الأعراف.

٢ ـ ومن المقاصد الشرعية المقررة حفظ النفس، وعدم الإضرار بها، بأي شكل من الأشكال، وأدلة ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ ... ﴾ الآية[2].

ولا شك أن في التدخين أضراراً كبيرة على النفس، فهو يسوقها إلى أمراض كثيرة، ويؤدي بها إلى التلف والهلاك بإجماع الأطباء المعتبرين، وستأتي الإشارة إلى شيء من ذلك إن شاء الله تعالى، ولذلك يسمى: (القاتل البطيء)، ويوصف بأنه: (انتحار بطيء).

٣ ـ ومن المقاصد الشرعية المقررة: حفظ العقل، وعدم الإضرار به بأي شكل من الأشكال، ولذلك حرّمت الشريعة تعاطي المسكرات بأنواعها.

وقد ثبت أن الدخان من المفترات، يظهر هذا جلياً عند من يستخدمونه أول الأمر، أو من انقطع عنه ثم عاد إليه، أو مَن أكثر منه، وإن كان الذي أدمن عليه لا يكاد يحس بذلك في كثير من الأحيان؛ لأجل الاعتياد عليه، ولذلك كلما مرّ به زمن يحس أنه بحاجة إلى زيادة في الكمّية حتى تؤثر في مزاجه.

٤ ـ ومن المقاصد الشرعية المقررة: حفظ المال، وعدم إنفاقه إلا فيما يعود على المرء بالنفع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ٢٦ ﴾[3]، والتبذير: ما ينفقه الإنسان في غير طاعة ولا منفعة.

عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[4].

ولا يشك عاقل أن في إنفاق الأموال على التدخين إضاعة لها فيما لا فائدة منه، بل هو ضرر محض.

وسيأتي مزيد إشارة إلى أضراره المالية إن شاء الله تعالى.

(١) آية ٢٩ من سورة النساء.
(٢) آية ١٩٥ من سورة البقرة.
(٣) آية ٢٦ من سورة الإسراء.
(٤) متفق عليه، صحيح البخاري، في مواضع منها: كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال ٦٨/ ٥ ح (٢٤٠٨)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل ١٣٤٠/ ٣ ح (١٧١٥).

٥ ـ من القواعد الشرعية المقررة ما نصّ عليه النبي ﷺ بقوله : «لا ضرر ولا ضرار»[١]، فالضرر منتفٍ في الشريعة، والتدخين مشتمل على أضرار متنوعة، يمكن إجمالها فيما يلي :

(أ) أضرار دينية : وهي كثيرة، منها : أنه يتأذى برائحته الملائكة، والمصلّون، ويَثقل على المدخن شهر الصوم، وإن كان من المكثرين للتدخين فإنه لا يكاد يأنس بصومه، وأما صيام النافلة فلا يكاد يعرفه؛ لأنه يحرمه من شهوته، ومنها : أنه لا يكاد يفرح بمجالسة أهل الخير، أو السفر معهم، أو صحبتهم، وهذا يفوّته خيراً كثيراً.

(ب) أضرار اجتماعية : منها : أنه يؤذي الآخرين برائحته، ويفسد عليهم مجالسهم واجتماعاتهم، وتشتد أذيّته إذا لم يكن منه بُدٌّ ومهرب، كحال ركوب الطائرة، أو القطار، ويسبب النفرة والتباغض، بل وقطع العلائق والصِّلات، وترك الزيارات، ونحو ذلك.

(جـ) أضرار ماديّة : منها ما يتعلق بالفرد، ومنها ما يتعلق بالأمة والوطن.

أما الأضرار المتعلقة بالفرد، فإنه يضيّع ماله بلا مردود، ويفسد ثيابه، وغير ذلك.

وأما الأضرار المتعلقة بالأمة والوطن، فتظهر أضراره المادية في كثرة الحرائق التي يتسبب فيها المدخّنون، وفي الأمراض الناتجة بسببه، وما تصرفه الدولة في علاجها من أموال طائلة، كما أن التدخين قد يؤدي إلى المخدّرات التي تدمّر المجتمع، وتضعف قوته وإنتاجه وما يتبع ذلك أيضاً من علاجات ومصحّات وغيرها.

(د) أضرار تربوية : وذلك أن من أهم طرق التربية : (التربية بالقدوة)، والأب المدخّن ـ ومثله المعلّم ـ مقتنع بضرر التدخين، وهو عندما ينهى ولده عن هذه العادة السيئة فإن استجابة الولد ستكون ضعيفة؛ لما يرى من مخالفة القول للفعل، وهذا بدوره يؤثر على جوانب التربية الأخرى.

(هـ) أضرار صحّية : وهي كثيرة جداً، منها :

١ ـ أنه سبب رئيس لمرض السرطان، خاصة سرطان الفم، واللسان، والبلعوم، والحنجرة، والمريء، والمعدة، وسرطان الرئة، والدم، وغيرها.

---

(١) سبق تخريجه في موضوع : (الطاعة).

٢ ـ يسبب آلاماً في الحلق، وبحّة مزمنة، وضعفاً في حاستي الشم والذوق.

٣ ـ يسبب جلطة القلب والدماغ.

٤ ـ يسبب السل الرئوي.

٥ ـ يشوه الوجه، وتظهر على صاحبه زرقة أو صفرة تعمّ بدنه، ويشوّه الأسنان والشفة.

٦ ـ تقلّب المزاج، وكثرة القلق، وسرعة الغضب.

٧ ـ تتكدس السموم في الكبد، فيشعر المدخن بالتعب والإرهاق لأي مجهود؛ لأن الكبد لا تستطيع حجز السموم الكثيرة، فلذلك يضعف عن القيام بالأنشطة الرياضية.

بعد هذا كله، فإنه لا يشك عاقل في تحريم الدخان، وأنه يجب عليه البعد عنه، وعن أسباب الوقوع فيه، ويجب على من هو واقع فيه أن يتخلص منه، ويجتهد في الإقلاع عنه.

وما كان مثل الدخان أو أشد منه فإنه داخل في حكمه.

وإذا علمنا تحريم الدخان، فإنه يحرم أيضاً بيعه، والاتجار به، وكل ما من شأنه أن يسهّل أو يعين على تناوله، وعلى ذلك عدة أدلة منها عموم قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ...﴾ الآية[١]. وقوله ﷺ: «إن الله إذا حرّم شيئاً حرّم ثمنه»[٢].

من أسباب الوقوع فيه

١ ـ ضعف الإيمان عند كثير من الناس، ووسوسة الشيطان لهم بفعله، وهو الحريص على إغواء بني آدم وإيقاعهم في الحرام.

٢ ـ غلبة الهوى على العقل، والجهل إما بحكمه أو ضرره، والبعض يفتي نفسه بجوازه، أو يبحث عمّن يفتيه بالجواز ممن لا يعتمد على علمه.

٣ ـ صحبة المدخّنين، وإغراء أصحاب السوء بذلك، وزعمهم أنه رجولة وكمال، فيغتر الجاهل

(١) آية ٢ من سورة المائدة.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب في ثمن الخمر والميتة ٢/٣٠٢، (ح ٣٤٨٨)، والبيهقي، كتاب البيوع، باب تحريم ما يكون نجساً لا يحلّ أكله ٦/١٣، وصححه ابن القيّم في زاد المعاد ٥/٧٤٦ .

بكلامهم.

٤ ـ الدعاية القويّة له في بعض وسائل الإعلام المشبوهة، وهنا نشير إلى موقف الدولة السعودية، المباركة، إذ منعت الدعاية للتدخين في جميع وسائلها الإعلامية.

٥ ـ ضعف الشخصية، وذلك أن بعض الصغار أو الجهَلة يحسّ في نفسه بالنقص، ويظن أن في شربه كمال، أو أنه من مظاهر الرجولة.

٦ ـ كثرة استعماله، خاصة من الكبار (آباء، ومعلمين، وغيرهم) مما يجرّئ الصغار عليه، ويندفعون لتقليد آبائهم ومعلميهم الذين يُعتَبرون في هذه الحالة قدوة سيئة.

٧ ـ حبّ الاطلاع والتجربة.

٨ ـ التفكّك الأسري.

٩ ـ عزوف الكثيرين عن نصح مثل هؤلاء المدخنين وتعريفهم بأضراره.

طريق التخلّص منه

١ ـ استشعار المسلم بأن هذا الفعل محرّم، وأنه يجب عليه تركه إرضاء لله جلّ وعلا، وأن هذا من باب التوبة الواجبة.

٢ ـ الاستعانة بالله تعالى والتوكّل عليه، مع بذل الأسباب، والدعاء بصدق وإخلاص.

٣ ـ العزيمة الصادقة الجازمة على الإقلاع عنه، وعدم التردد.

٤ ـ ترك مجالسة المدخنين، وتغيير هؤلاء الرفقة بغيرهم.

٥ ـ عدم الالتفات لأقوال المثبطين وغمزهم ولمزهم.

٦ ـ عدم الالتفات للوهم القائل بعدم إمكانية تركه؛ لأنه وهم فاسد، فما أكثر من ترك هذه العادة السيئة.

٧ ـ استشعار أضراره على النفس والمال وغير ذلك، مما تقدمت الإشارة إليه.

٨ ـ قَطْعُه مباشرة في أول أمره قبل تمكّنه، والأولى قطعه بدون تدرّج؛ لأنه أنفع وأصلح، وتذكّر حال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حين حرمت الخمر، فقد تركوها مباشرة، وقالوا: انتهينا ربنا[١].

(١) انظر تفصيل ذلك في: تفسير ابن كثير، عند الآية (٩٠، ٩١) من سورة المائدة.

٩ ـ يحتاج المسلم إلى الصبر والمصابرة بعد ذلك حتى يتعوّد على الحالة الجديدة، ولْيَعلم أنها فترة يسيرة قد يحس فيها ببعض الألم، وسرعان ما تزول.

وأخيراً فما أجمل ما قاله بعض الناس : إن شراباً ليس في أوله (بسم اللّه)، ولا في آخره : (الحمد للّه) لا خير فيه.

الأسئلـــة

س١ : كيف السبيل إلى معرفة حكم الأشياء الحادثة بعد عصر النبوّة ؟

س٢ : اذكر ثلاثة من الأدلة العامة، وبيّن كيف يؤخذ منها حكم التدخين .

س٣ : إذا علمت أن صديقاً لك ابتلي بعادة التدخين، فماذا أنت صانع في هذه الحالة ؟

س٤ : بيّن أثر التدخين في إضعاف عملية التربية.

الحركة الصّهْيَونِية [1]

تعريفها

الصهيونية ـ كحركة سياسية ـ تهدف إلى جمع اليهود ولمّ شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين، لتأسيس دولة يهودية.

والصهيونية ـ كحركة دينية فكرية ـ تهدف إلى تمكين العنصر اليهودي من تملّك لأرض فلسطين، وقهر لجيرانها الأعداء، وتركيز لسلطة العالم الروحية والحضارية والفكرية في صهيون.

وهي بمعناها العام: (حركة سياسية تستمد أصولها من الفكر الصهيوني النابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود)[2]

الفرق بين الصهيونية والماسونية

الصهيونية قرينة الماسونية، إلا أن الصهيونية يهودية بحتة، في شكلها وأسلوبها، ومضمونها وأشخاصها، وتخدم أهداف اليهود بطريق مباشر، فهي الجهاز التنفيذي الرسمي لليهودية العالمية.

أما الماسونية فهي يهودية مبطّنة، تظهر شعارات إنسانية عامة، وقد ينضوي تحت لوائها غير اليهود.

وهي حركة علمانية إلحادية سرّية، تخدم اليهود بطريق غير مباشر، فهي القوة الخفية التي تهيئ الظروف والأوضاع لليهود، ولذلك تستخدمها الصهيونية لتحقيق أهدافها.

تاريخ الصهيونية

هي فكرة قديمة، بدأ تاريخها بتاريخ اليهود[3].

ولكن بدأ ظهور الصهيونية الحديثة في القرن السابع عشر الميلادي، وفي القرن التاسع عشر ظهرت الصهيونية علناً إلى العالم كحركة سياسية تدعو إلى تجميع اليهود في وطن خاص بهم، وظهر «هيرتزل» كزعيم

(١) الصهيونية: نسبة إلى جبل صِهْيَون في القدس بفلسطين، وهو بكسر الصاد وسكون الهاء، وفتح الباء. (معجم بلدان فلسطين). انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د. إسماعيل الفاروقي ص ٧ .

(٢) الصهيونية: عمر رشدي ص ٢٢ .

(٣) أصول الصهيونية في الدين اليهودي إسماعيل الفاروقي، ص ٨ ، اليهود في الوطن العربي، داود عبدالغفور سنّقرط، خطر اليهودية العالمية، عبدالله التل ص ١٥٧ .

لهذه الحركة، وبقيادته عُقد مؤتمر «بال» بسويسرا سنة ١٨٩٧م.

أسس الفكر الصهيوني

١ ـ اليهود شعب الله المختار، فأرواح بني إسرائيل جزء من الله، والأرواح الأخرى أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات.

٢ ـ الدنيا ملك للإسرائيلي، ومن حقه أن يتسلط وتكون له السيادة على العالم؛ لكونه الشعب المختار لدى الله على كل بني البشر.

٣ ـ فلسطين هي الهدف الأساس لليهود، وهي نقطة الارتكاز التي تبدأ منها سيطرتهم على العالم، ففيها يجب أن تقوم دولتهم؛ لأنها أرض الميعاد.

٤ ـ أن اليهود في شتى أنحاء العالم يمثلون شعباً واحداً، ينتمي إلى أصل واحد، وأن هذا الأصل مرجعه إلى أرض فلسطين، ومن ثم يجب اعتبار يهود العالم أعضاء في الجنسية الإسرائيلية[١].

أهداف الحركة الصهيونية

١ ـ إثارة الروح القتالية عند اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم، للتصدّي للأديان والأمم والشعوب[٢].

٢ ـ سيطرة اليهود على العالم، والمنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات[٣].

٣ ـ إشعال نار الخصومة الحاقدة بين القوى لتتصارع، وإشعال نار الحرب بين الدول؛ لتضعف كل الدول وتقوم دولتهم[٤].

---

(١) الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني، د. إسماعيل أحمد ياغي ص ١١ ـ ١٦ .
(٢) الموجز في الأديان، د. ناصر العقل، د. ناصر القفاري ص ٦٠ .
(٣) الموسوعة الميسرة، ص ٣٣٣ . (٤) الموسوعة الميسرة، ص ٣٣٣ .

مؤتمر بال، بسويسرا

افتتح هذا المؤتمر هرتزل سنة ١٨٩٧م ويمكن أن نلخص قرارات المؤتمر فيما يلي :

١ ـ وضع هذا المؤتمر برنامج الحركة الصهيونية التي تتمثل في استعادة أرض (مملكة إسرائيل) لحدودها التاريخية، وإعادة تكوين الشعب اليهودي وطنه القديم.

٢ ـ وضع أسس المنظمة الصهيونية العالمية.

٣ ـ أوصى المؤتمر بالتدابير التالية لتحقيق الأهداف الصهيونية :

(أ) تنمية حركة الاستعمار اليهودي في فلسطين بطريقة عملية منظمة.

(ب) إيقاظ الوعي القومي بين يهود العالم.

(جـ) القيام بالسعي لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية.

(د) تنظيم العناصر اليهودية، وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية وفقاً للقوانين المرعية في الدول المختلفة.

وفي هذا المؤتمر وضع شعار العلَم اليهودي، والنشيد القومي اليهودي، وتأسست الهيئات الصهيونية العالمية. يقول هرتزل : «لو طلب إلي تلخيص أعمال المؤتمر فإني أقول، بل أنادي على مسمع الجميع أنني قد أسست الدولة اليهودية»[1].

بروتوكولات حكماء صهيون

وهي مقررات سرّية يترجح أنها لمؤتمر (بال) السالف الذكر، كُشفت في القرن التاسع عشر، وقد حاول اليهود إنكارها، إلا أن الأدلة توفرت لإثبات صحتها وصدورها عن حكماء صهيون.

ويمكن أن تلخص محاضر البروتوكولات بالنقاط التالية :

١ ـ زعزعة مقومات المجتمع العالمي الحاضر ونظمه؛ لتمكين الصهيونية من الاستئثار بحكم العالم.

(١) الصهيونية، عمر رشدي ص ٧٣ .

٢ ـ القضاء على القوميات والأديان والأمم المسيحية بصفة خاصة.

٣ ـ العمل على زيادة فساد أنظمة الحكم الحاضرة في أوروبا، والتي تؤمن الصهيونية بفسادها وانهيارها.

٤ ـ السيطرة على وسائل النشر والدعاية والصحف، واستخدام الذهب لإثارة الاضطرابات، وإغراء الناس بالشهوات، وإشاعة الخلاعة.

والدليل القاطع على صحة المقررات وما حوته من خطط يهودية جهنّمية، هو : تنفيذ كثير مما ورد فيها من خطط ودسائس ومؤامرات، ومَن يقرؤها ـ وقد صدرت في القرن التاسع عشر ـ يدرك اليوم إلى أي مدى تحقق الكثير مما ورد فيها[1].

نماذج من أساليب الصهيونية لتحقيق أهدافها

١ ـ إثارة الفتن والمكائد والمؤامرات على مدار التاريخ ومن أمثلة ذلك :

(أ) لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة عاهد اليهود فيها، فما لبث حتى تنكروا لهذا العهد، وأخذوا يدسّون سمومهم للتفرقة بين المسلمين، وألّبوا المشركين على المسلمين حتى أخرجهم الرسول ﷺ عن المدينة خاسئين.

(ب) قام ابن سبأ اليهودي بتأجيج الفتنة على الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، وكان من نتائج حركته الهدّامة أن استشهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ بأيدي الثوار.

وقد قاوم علي ـ رضي الله عنه ـ حركة السبئية أشدّ المقاومة، وطارد أتباع ابن سبأ[2].

(جـ) الثورة الفرنسية : فقد استغل اليهود الثورة الفرنسية في مهاجمة الأديان، وضرب القيم، والترويج للشعارات الفارغة، وكان لهم دور في خططها ودستورها الأخلاقي.

(د) الحرب العالمية الأولى، وقد كان لليهود دور في إشعال أوارها.

(١) خطر اليهودية العالمية، عبدالله التل ص ١٤٠ ـ ١٤١ .
(٢) انظر جذور البلاء ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(هـ) إسقاط دولة الخلافة الإسلامية العثمانية، ولا يخفى دور يهود الدونمة في ذلك.

(و) الثورة البلشفية الروسية على الحكم القيصري، ومن المعلوم أن جذور الفكر الماركسي يهودية، فقد كان (كارل ماركس) يهودياً من يهود ألمانيا(١).

ولا تكاد تجد فتنة إلا ولليهود دور فيها.

٢ ـ محاولة إغراق الشعوب في الرذيلة، ونشر الفاحشة، وقد تولى اليهود ممارسة تجارة ذلك والترويج له، وإدارة البارات في أوروبا وأمريكا، وفي إسرائيل نفسها(٢).

٣ ـ السيطرة على الأدب والفن، بنشر الأدب المنحل الإباحي، وتشجيع الاتجاهات المنحرفة في الأدب والفكر والفن(١).

٤ ـ السيطرة على صناعة السينما والفنّ في العالم الغربي وغيره(٣).

٥ ـ النصب والرشوة والسرقة والاحتيال(٣).

الحركات الهدّامة التي استخدمتها الصهيونية لتحقيق مآربها

١ ـ الماسونية، وهي : منظمة يهودية سرية، تعمل في خفاء على تحقيق مصالح اليهود الكبرى، والماسونية كلمة خداعة توهم السامعين بأنها مهنة شريفة، حيث إن معناها : (البنّاؤون الأحرار) شعارها : (الحرية والإخاء والمساواة).

٢ ـ بناي برث، أي : أبناء العهد، وقد أسست هذه الجمعية سنة ١٨٣٤م في أمريكا.

٣ ـ نوادي الليونز العالمية، ومعنى الليونز : الأسود، وهي نوادٍ ماسونية، مركزها أمريكا، ولها عملاء سريّون في جميع أنحاء العالم.

٤ ـ نوادي الروتاري، وقد أسست سنة ١٩٠٥م في شيكاغو بأمريكا، ثم امتدت إلى جميع أنحاء العالم.

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج، وليم غاي كار ص ٣٥ .
(٢) جذور البلاء ص ١٧٢ وما بعدها.
(٣) جذور البلاء ص ١٧٢ وما بعدها.

موقف علماء المسلمين من هذه المنظمات المشبوهة

ـ أصدر المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة برئاسة سماحة الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ في دورته المنعقدة بتاريخ ١٣٩٨/٨/١٠هـ الموافق ١٩٧٨/٧/١٥م قراراً شرعياً، اعتبر فيه الماسونية والأندية التابعة لها ـ كالليونز، والروتاري ـ من أخطر المنظمات الهدّامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام، مجانب لأهله.

ـ أصدر المجلس الإسلامي العالمي بمدينة كراتشي ـ باكستان، بيانًا في ١٩٧٠/١٢/٢٩م يحذر المسلمين في أنحاء العالم من الاشتراك في هذه الأندية الصهيونية؛ لأنها إحدى بنات الماسونية العالمية التي تعمل لحساب إسرائيل والقضاء على الإسلام.

ـ أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بياناً في ١٩٨٥/٥/١٥م بتحريم الانتساب إلى هذه الأندية (الروتاري)، أو الاشتراك في عضويتها؛ لأنها من أخطر المنظمات الهدّامة التي تعمل لحساب الماسونية، ويسيطر عليها اليهود والصهاينة.

الأسئلة

س١ : ما المراد بالصهيونية بمعناها العام ؟

س٢ : ما الفرق بين الصهيونية والماسونية ؟

س٣ : ماذا تعرف عن بروتوكولات حكماء صهيون ؟

الجـــــود والإيثـــــار

أولاً : الجـــود

ليس الجود معنى قاصراً على إنفاق المال بسخاء، وإنما الجود معنى واسع ذو مراتب وأنواع تشترك في أنّ كلاًّ منهما مشتمل على بذل وعطاء.

فأعلى مراتب الجود : الجود بالنفس في سبيل اللّه تعالى، قال الشاعر :

يجود بالنفس إذْ ضَنَّ البخيل بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

ومن مراتبه : الجود بالوقت لمنفعة المؤمنين، والجود بالعلم ببذله للسائلين والمتعلمين، وغير ذلك.

من صور الجـود

(أ) الجـــود بالنـفـس :

فإنك إذا تصفّحت حياة الصحابة ـ رضي اللّه عنهم ـ ومن بعدهم، فإنك ترى العجب العُجاب من بذلهم أرواحهم في سبيل اللّه تعالى، وإليك طرفاً يسيراً من ذلك :

١ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول اللّه ﷺ قال في غزوة بدر : «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»، فقال عمير بن الحُمام الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ : يا رسول اللّه، جنة عرضها السموات والأرض ؟ (قال : نعم)، قال : بخ بخ، فقال رسول اللّه ﷺ : «ما يحملك على قولك : بخ بخ»، قال : لا واللّه يا رسول اللّه، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال : «فإنك من أهلها»، فأخرج تمراتٍ من قَرَنه، فجعل يأكل منهنّ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال : فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل[1].

٢ ـ وكان أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ في إحدى المعارك، فقال : قال رسول اللّه ﷺ : (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، فقام رجلٌ رثّ الهيئة، فقال : يا أبا موسى، أنت سمعت رسول اللّه ﷺ يقول

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ٣/١٥١٠، ح (١٩٠١). والقَرَن : الجعبة.

هذا ؟ قال : نعم، فرجع إلى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جَفْن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قتل[1].

(ب) الجود بالمال وهو كثير لا حصر له في حياة السلف، وإليك هذه المقتطفات :

١ ـ **أخذ عمر بن الخطاب ـ** رضي الله عنه ـ أربعمائة دينار، فقال لغلام : «اذهب بها إلى أبي عبيدة، ثم تَلَهَّ[2] ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع»، فذهب بها الغلام، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : خذ هذه، فقال : وصله الله ورحمه، ثم قال : تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفَذَها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل، فأرسله بها إليه، فقال معاذ : (وصله الله، يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا)، ولبيت فلان بكذا، فاطّلعت امرأة معاذ فقالت : ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فدفع بهما إليها، ورجع الغلام، فأخبر عمر، فسُرَّ بذلك، وقال : إنهم إخوة، بعضهم من بعض[3].

٢ ـ ومن خبر طلحة بن عبيدالله ـ رضي الله عنه ـ والذي كان يقال له : طلحة الجود، وطلحة الفيّاض؛ لكثرة جوده، من خبره أنه جاءه مال له من حضرموت، مقداره سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته : مالك ؟ قال : تفكرت منذ الليلة، فقلت : ما ظنّ رجل بربه، يبيت وهذا المال في بيته، قالت : فأين أنت من بعض أخلائك، فإذا أصبحت فقَسّمه، فقال لها : أنت موفقة، بنت موفق، (وهي أم كلثوم بنت الصديق)، فلما أصبح قسَمَهُ بين المهاجرين والأنصار، فقالت له زوجته : أما كان لنا في هذا المال من نصيب ؟ قال : فأين كنت منذ اليوم ؟ فشأنك بما بقي، فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[4].

ثانياً : الإيثار

وهو متضمن لمعنى الجود، وزائد عليه، بأن فيه تقديم شيء مع حاجة النفس إليه.

وهو أنواع ومراتب :

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥١٠، ح (١٩٠٢)، وجَفن السيف : غمده.
(٢) تَلَهَّ : فعل أمر من تَلَهَّى. (٣) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٥٦ ، ١٧ بتصرف يسير. (٤) سيرَ أعلام النبلاء ١/ ٣١ بتصرف يسير.

١ ـ فأعلى مراتبه : إيثار مرضاة اللّٰه على غيره، وإيثار الآخرة على الدنيا، وما يبقى على ما يفنى.

٢ ـ ومنه : الإيثار مع الخلق، وحقيقته، أن يجود المرء بالشيء لغيره، ويقدمه على نفسه مع الحاجة إليه، ابتغاءً لمرضاة الله، لا لأجل مدح أو منصب أو غيرهما.

(أ) وأعلى درجات هذا النوع : الإيْثار بالنفس، وهو جود المرء بحياته لأجل بقاء غيره ممن بقاؤه أشد نفعاً للمسلمين، مع حاجته إلى بقاء نفسه، وقد كان أصحاب محمد ﷺ يقولون له : نفسي لنفسك الفداء، ونحري دون نحرك، متمثلين ذلك عملياً.

(ب) ومنه الإيثار بالمال، وهو : جود المرء بالمال لغيره، مع حاجته إليه.

وقد أثنى اللّٰه تعالى على الأنصار لما آثروا إخوانهم المهاجرين، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[١].

ومن صور الإيثار ما يلي

١ ـ عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقالت : يا رسول الله، أكسوك هذه، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال : يا رسول اللّٰه، ما أحسن هذه ! فاكسنيها، فقال : نعم، فلما قام النبي ﷺ لامَهُ أصحابه، فقالوا : ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها، ثم سألَته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئاً فيمنعه، فقال : رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أُكَفَّن فيها[٢].

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : أتى رجل رسول اللّٰه ﷺ فقال : يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول اللّٰه ﷺ : «ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه اللّٰه»، فقام رجل من

---

(١) آية ٩ من سورة الحشر.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء (الفتح ٤٥٦/ ١٠) ح (٦٠٣٦).

الأنصار فقال : أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً، فقالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوّميهم، وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال : «لقد عجب الله عز وجل ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانة»[1].

الأسئلة

س١ : ما العلاقة بين الجود والإيثار ؟ وما الفرق بينهما ؟

س٢ : كيف يكون الجود بالوقت والعلم ؟

س٣ : اذكر ثلاث صور من خيالك يمكن أن يتمثل فيها المسلم بخلق الإيثار.

س٤ : كان الجود بالمال خلقاً محموداً في الجاهلية، وجاء الإسلام فتمم هذه الخلق، اذكر ما يمكن أن تستنتجه من فرق بين هذا الخلق في العهدين.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب : ويؤثرون على أنفسهم (الفتح ٨/٦٣١) ح (٤٨٨٩).
وللزيادة من صور الإيثار انظر : تفسير ابن كثير، والقرطبي، عند تفسير الآية (٩) من سورة الحشر.
وللإيثار والجود أيضاً انظر : مدارج السالكين، لابن القيم، منزلة الإيثار.

حقّ الوالدين والأقارب

أولاً : حقّ الوالدين

١ ـ الحق العام لهما : البر بهما، والإحسان إليهما، وترك عقوقهما.

البِرّ : اسم جامع لكل خير، وقد فسّره النبي ﷺ فقال : «البرّ حسن الخلق»[1].

والإحسان : الإنعام على الآخرين، وفعل ما ينبغي فعله من المعروف.

قد أمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين، فقال تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ...﴾ الآية[2].

وجعل رسول الله ﷺ بر الوالدين من أفضل الأعمال وأحبّها إلى الله تعالى.

فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه سأل النبي ﷺ : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : «الصلاة على وقتها». قال : ثم أيّ ؟ «قال : بر الوالدين»، قال : ثم أيّ ؟ قال : «الجهاد في سبيل الله»[3].

وأرشد القرآن والسنة إلى حسن مصاحبة الوالدين، فقال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ الآية[4].

وسئل ﷺ : من أحقّ الناس بحسن صحابتي ؟ قال : «أمك»، قال : ثم مَن ؟ قال : «أمك»، قال : ثم من ؟ قال : «أمك»، قال ثم مَن ؟ قال : «أبوك»[5].

والعقوق : إيذاء الوالدين، بفعل أو قول أو ترك، إلا أن يكون ذلك لمسوّغ شرعي، فعندها لا يكون عقوقاً، كما لو أمر الوالدان بفعل معصية، أو ترك فريضة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر، باب تفسير البر والإثم ١٩٨٠/ ٤ ح (٢٥٥٣).
(٢) آية ٢٣ من سورة الإسراء.
(٣) رواه البخاري في مواضع، منها : كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها (الفتح ٩/ ٢)، ح (٥٢٧)، وكتاب الأدب، باب البر والصلة، (الفتح ٤٠٠/ ١٠)، ح (٥٩٧٠).
(٤) آية ١٥ من سورة لقمان.
(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب مَن أحقّ الناس بحسن الصحبة ؟ (الفتح ٤٠١/ ١٠)، ح (٥٩٧١)، ومسلم، كتاب البر، باب بر الوالدين ١٩٧٤/ ٤ (٢٥٤٨).

وقد نهى رسول الله ﷺ عن العقوق، وأخبر أنه من كبائر الذنوب، فقال ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟» قلنا : بلى يا رسول الله، قال : «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور، وشهادة الزور...» الحديث[1].

ومن العقوق : الغضب عليهما، وترك طاعتهما، والإعراض عن حديثهما، وزجرهما والتأفّف من حاجتهما وكلامهما، ونحو ذلك.

هذا هو الحق العام لهما، وهو متضمن لما يأتي بعده من الحقوق.

٢ ـ طاعتهما :

فتلزم طاعتهما فيما أمرا به، ونهيا عنه، وهي طاعة مقيّدة بشروط :

١ ـ أن تكون في غير معصية الله تعالى.

٢ ـ الاستطاعة.

٣ ـ التلطّف في الخطاب معهما، وعدم التضجّر بأي حال من الأحوال، ولا حتى التأفف حين يتحدثان أو يطلبان عملاً من الأعمال.

ويتأكد هذا الحق ـ وغيره من الحقوق ـ عند كبر الوالدين، قال تعالى : ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

٤ ـ التواضع لهما، وهضم النفس أمامهما، وأن لا يرى نفسه أعلى منهما بسبب علم تعلّمه، أو مال حصّله، أو منصب تسلّمه، بل يبقى هو ذاك الولد الذي حملاه صغيراً، ورفعا عنه القذر، وأطعماه الطعام، ولم يكن قادرًا على إطعام نفسه، فكيف يترفع عليهما، قال تعالى : ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ..﴾ الآية[3].

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر (الفتح ١٠/ ٤٠٥) ح (٥٩٧٦).
(٢) آية ٢٣ من سورة الإسراء.
(٣) آية ٢٤ من سورة الإسراء.

٥ ـ الدعاء لهما :

فعلى الولد أن يدعو لوالديه، في حياتها وبعد موتهما، قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[١].

وقال ﷺ : «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : إلا من صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتَفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»[٢].

٦ ـ أن لا يتسبب في لعنهما :

اللعن في أصله حرام، ويزداد حرمة إذا كان هذا اللعن سبباً في لعن الوالدين، قال ﷺ : «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل : يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه ؟! قال : «يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسب أمَّه فيسبّ أمّه»[٣].

فكيف بمن يلعن والديه مباشرة[٤] ؟!

٧ ـ أن يصل أقاربهما وأصحابهما، ويحترمهم، في حياتهما وبعد مماتهما :

قال ﷺ : «إن أبرّ البرّ صلة الولد أهل وُدّ أبيه»[٥].

٨ ـ دعوتهما وتعليمهما :

من أحق الناس بالنصح والمعاونة الوالدان، فمَن رأى منهما غلطا ـ يستحق التنبيه ـ فإنه يتلطّف ويتأدب في تنبيههما عليه؛ لأن في ذلك نجاة لهما من العقوبة.

قال الإمام أحمد رحمة الله تعالى : «إذا رأى أباه على أمر يكرهه، يعلّمه بغير عنف، ولا إساءة، ولا يغلظ له في الكلام، وإلا تركه، وليس كالأجنبي»[٦].

---

(١) آية ٢٤ من سورة الإسراء.
(٢) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٣/ ١٢٥٥ ح (١٦٣١).
(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب : لا يسبّ الرجل والديه (الفتح ١٠/ ٤٠٣) ح (٥٩٧٣).
(٤) انظر مجموع الفتاوى ٣٤/ ٢٢٦ .
(٥) رواه مسلم، كتاب البر، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ٤/ ١٩٧٩ ح (٢٥٥٢).
(٦) الآداب الشرعية ١/ ٤٤٩ .

ولكن الأب قد لا يتقبل النصح من ولده، فلذلك الأولى له أن يناصحه بطريق غير مباشر، مثل أن يطلب من إمام المسجد أن يتكلم عن الموضوع الفلاني الذي يرى أن والده بحاجة إليه، أو يهدي لوالده كتاباً فيه التنبيه على هذا الغلط الذي يفعله، أو حتى يضعه أمام عينيه ولا يتقَصّد توجيهه إليه حتى لا يشعر الوالد بذلك، فيستكبر عن قراءته وقبوله، أو أي وسيلة أخرى يحصل بها النصح، لكن دون مباشرة من الولد تجعل الوالد ينفر ويستكبر.

٩ ـ مصادقتها ومصاحبتها :

وهذا مطلوب لأجل زيادة الأُلفة بين الولد ووالده، ولذلك وسائل منها :

ـ أن يأخذ رأيه ويستشيره.

ـ أن يهدي له : قال ﷺ «تهادوا تحابّوا»[١].

ـ أن يتصاحب معه في السفر... وغير ذلك، وهو داخل في قوله تعالى : ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ...﴾ الآية[٢].

١٠ ـ آداب مجملة في تعامل الولد مع والديه :

لا يدعوه، ولا يجلس قبله، ولا يمشي أمامه إلا أن يتقدمه ليرفع عنه أذى، أو يفتح له باباً، ونحو ذلك، ويخدمه، ويجيب دعوته، ويتكلم معه بلين ولطف، ولا يقطع عليه حديثه، أو يخطئه، أو يقول له : أنت لا تعرف.

وليحرص على إسعاد والديه بكل مشروع ومباح، فهما يحبّانه صالحاً، مصلّيا، ويحبانه مرافقاً للصالحين، ويحبانه حريصاً على دراسته، متفوقاً، بل ويفتخران بكل ذلك، فتحصيل ذلك لنفسك هو من برّك بوالديك.

ثانياً : حقّ الأقارب

لقد أمر اللّه تعالى بإعطاء القريب حقّه، فقال : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾[٣].

(١) حديث رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم (٥٩٤)، والبيهقي ٦/١٦٩، عن أبي هريرة، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/٧٠ : إسناده حسن، وانظر : إرواء الغليل ٦/٤٤ .

(٢) آية ١٥ سورة لقمان. (٣) آية ٢٦ من سورة الإسراء.

وأمر بالوصل فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾[1].

وفي الحديث القدسي أن الله تعالى قال للرحم: «من وصلَك وصلته، ومن قطَعك قطعته»[2].

وحذّر من القطيعة، وجعلها من الفساد في الأرض فقال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾[3].

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع»[4].

مـراتبـها:

وصلة الأرحام مراتب، أعلاها: المعاونة بالنفس والمال، والمناصحة، وأدناها: الصلة ولو بالسلام، وبين ذلك مراتب، قال ﷺ: «بلّوا أرحامكم ولو بالسلام»[5].

أعلاها من جهة أخرى: أن تصل من قطعك، قال ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»[6].

والمعنى هنا: أن الوصل الكامل هو صلة القاطع، وأقل منه مرتبة: (المكافئ)، وهو الذي يصل أرحامه الذين يصلونه.

حَـدّهــا:

وليس للصلة حدٌّ محدود بزمن أو وقت، بل ذلك حسب العرف، فما عدّه العرف الصحيح صلة فهو كذلك، وما عُدَّ في العرف الصحيح قطيعة فهو كذلك، وهي تختلف باختلاف القريب ومنزلته، فصلة الوالد غير صلة ابن العم البعيد، كما تختلف باختلاف الأحوال، فصلة المريض والمحتاج غير صلة غيره، وصلة الكبير

(١) آية ٢١ من سورة الرعد.
(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل الرحم وصله الله (الفتح ١٠/ ٤١٧) ح (٥٩٨٨)، وانظر: صحيح مسلم رقم (٢٥٥٤).
(٣) آية ٢٢ من سورة محمد.
(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إثم القاطع (الفتح ١٠/ ٤١٥)، ح (٥٩٨٤)، ومسلم، كتاب البر، باب صلة الرحم وتحريم قطعها ح (٢٥٥٦).
(٥) رواه وكيع في الزهد، رقم (٤٠٩)، والبيهقي في الشعب ٦/ ٢٢٧، والقطيعي في جزء الألف دينار، رقم (٣١٠)، والبزار (كشف الأستار: ٢/ ٣٧٣)، والطبراني، وغيرهم، قال في المقاصد وكشف الخفاء: له طرق يقوّي بعضها بعضاً.
(٦) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافئ (الفتح ١٠/ ٤٢٣)، ح (٥٩٩١)، وانظر في فضل صلة القاطع أيضاً ما رواه مسلم ٤/ ١٩٨٢ برقم (٢٥٥٨).

غير صلة الصغير، كما تختلف باختلاف الأمكنة فالذي في البلد غير الذي هو خارج عنها، وهكذا.

ومما يدخل في الصلة: الزيارة، والسؤال عن الحال، وإبلاغ السلام، والاتصال الهاتفي، والرسائل المتبادلة، وغير ذلك.

فضـل البـر والصـلة:

١ ـ فيه سعة في الرزق، وطول في العمر، وبركة فيهما، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه»[١]، ومعنى: «ينسأ له في أثره» أي: يؤخر أجله.

٢ ـ البر والصلة سببٌ لدخول الجنة، فعن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ ـ: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه»، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر: أحدَهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»[٣].

قال النووي: ومعناه أن برّهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصّر في ذلك فاته دخول الجنة[٤].

٣ ـ سبب للتوفيق في الحياة والسعادة فيها، ولِبرّ الأولاد والذرية.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من يبسط له في رزقه بصلة الرحم (الفتح ٤١٥/ ١٠)، ح (٥٩٨٦)، ومسلم، كتاب البرّ، باب صلة
الرحم وتحريم قطعها ١٩٨٢/ ٤ (٢٥٥٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم (الفتح ٤١٤/ ١٠) ح (٥٩٨٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب البر، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة ١٩٧٨/ ٤ ح (٢٥٥١).

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/١٦٤ .

من نتائج العقوق والقطيعة

١ ـ أنها سبب لدخول النار.

٢ ـ أنها تؤدي إلى معيشة الضنك في الدنيا والآخرة.

٣ ـ أنها تؤدي إلى عقوق الأولاد بآبائهم.

٤ ـ أنها سبب لقلة بركة العمر.

الأسئلة

س١ : ما المراد بالعقوق ؟ واذكر ثلاث صور منه غير ما هو في الكتاب.

س٢ : لو رأى الولد من أبيه أو أمه ما يدعو إلى التنبيه والنصح، فما الأسلوب الأمثل في ذلك ؟

س٣ : ما حدّ الصلة ؟ اذكر ذلك بالتفصيل.

نعمة السمع

السمع نعمة عظيمة امتن الله تعالى بها على عباده، فقال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[(١)].

وهو أعظم وسائل العلم، ولذلك تكرر في القرآن التنبيه عليه، كما في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[(٢)].

وقال ﷺ منبّهاً على خطورة الاستماع : «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرّجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدّق ذلك الفرجُ أو يكذبه»[(٣)].

والمسموع ثلاثة أنواع

أولاً : مسموع يحبه الله ويرضاه، فالاستماع إليه محمود، وأفضل هذا السماع سماع القرآن الكريم، وسماعه يقع على ثلاث مراتب :

ـ سماعٌ مجرّد، وأعلى منه سماع تفهم وتدبّر، وأعلى ذلك سماع الإجابة والقبول، وهو متضمّن لما قبله.

ومن السماع المحمود أيضاً : استماع خطبة الجمعة، واستماع كلام الوالدين، فإنه لا يجوز الإعراض عنه ما لم يكن إثماً، واستماع كلام الناصح.

ومنه : استماع المواعظ، ودروس العلم النافع، وأعلاه : علم الشرع، ويليه سائر العلوم النافعة.

---

(١) آية ٧٨ من سورة النحل.

(٢) آية ٤٦ من سورة الحج.

(٣) رواه مسلم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في كتاب القدر، باب قُدّر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ٢٠٤٧/٤ ح (٢٦٥٧).

ثانيـاً : مسموعٌ مباح، مأذون فيه، لا يحبه الله ولا يبغضه، ولا مدح صاحبه ولا ذمَّه، فالاستماع إليه مباح، وهذا هو الأصل في كل مسموع لم يرد الشرع بذمّه، وأمثلته كثيرة لا حصر لها، فمن ذلك : سماع القصص والحكايات التي لا فحش ولا كذب فيها، وليست هي من جنس السماع المحمود[1]، ومن ذلك سماع الكلام المعتاد المباح، وغير ذلك.

ثالثـاً : مسموع يبغضه الله ويكرهه، ونهى عنه، ومدح المعرضين عنه : فالاستماع إليه مذموم، واجتنابه واجب، وذلك ليوافق المسلم ما يحبه الله، ويجتنب ما يبغضه، ولذلك أمثلة ننبه على بعضها تفصيلاً :

١ ـ الاستماع إلى من يطعن في الدين

والطعن في الدين من المحرمات العظيمة، بل قد يصل بصاحبه إلى الكفر، فالواجب على من سمع هذا أن يردّ عليه ويدافع عن الدين، وإلا فإنه لا يجوز له البقاء مع من يتكلم بذلك، وجلوسه ـ مع السكوت ـ من أعظم المحرمات.

وقريب من ذلك : الطعن في خيار الأمة، كالصحابة والعلماء والمصلحين، حملةِ هذا الدين ومبلغيه، والدفاعُ عن أعراضهم من أعظم الواجبات، وأرفع القربات.

٢ ـ استماع الغناء ، وآلات اللهو والطرب

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : إن الغناء والسماع الشيطاني وآلات اللهو، إنما نَصَبَها الشيطان مضادة لأمر الله، ومعارضة لما شرعه الله لعباده وجعله سبب صلاح قلوبهم[2].

وهو محرّم بالقرآن والسنة والإجماع.

(أ) أدلـة القـرآن :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ... ﴾ الآية[3].

---

(١) قصص الأنبياء والصالحين ونحوها يعتبر سماعها محموداً.

(٢) كتاب السماع، لابن القيم.

(٣) آية ٦ من سورة لقمان.

سئل ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن هذه الآية فقال : الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات، وبهذا فسرها ابن عمر، وابن عباس، وجابر رضي الله عنهم، وكثير من التابعين، منهم أئمة التفسير : مجاهد بن جبر المكّي، وعكرمة مولى ابن عباس، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وقتادة بن دعامة السدوسي، وغيرهم[1].

ـ قال تعالى : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ... ﴾ الآية[2].

قال مجاهد : «الغناء والمزامير». ولذلك يسميه السلف : صوت الشيطان، ومزمار الشيطان.

(ب) أدلـة السّنـة :

ـ قال ﷺ : «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير، والخمر، والمعازف...»[3].

وقال أيضاً : «إن في أمتي خسفاً ومسخاً وقذفاً» قالوا : يا رسول الله، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ؟! فقال : «نعم، إذا ظهرت المعازف والخمور، ولبس الحرير»[4].

(جـ) أما الإجمـاع على تحـريم الغنـاء بآلات الطـرب والملاهـي :

فقد نقله جماعة من العلماء، منهم : أبوبكر الآجرّي، وزكريا بن يحيى الساجي، في كتابه : (اختلاف العلماء)، والإمام أبو عمرو بن الصلاح، وأبو الطيب الطبري الشافعي، وغيرهم[5].

بعـض أقـوال العلمـاء :

١ ـ قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع[6].

٢ ـ وقال مالك : إنما يفعله عندنا الفساق.

---

(١) ينظر كتب التفسير عند هذه الآية، وصححه ابن القيم عن ابن مسعود، وابن عمر.

(٢) آية ٦٤ من سورة الإسراء.

(٣) رواه البخاري معلّقاً مجزوماً به، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر (الفتح ٥١/ ١٠) ح (٥٥٩٠)، ورواه غيره أيضاً بأسانيد صحيحة متصلة (ينظر : فتح الباري، شرح الحديث).

(٤) روي هذا الحديث عن غير واحد من الصحابة مرفوعاً بألفاظ متقاربة، وهو حديث حسن، ينظر في تخريجه والكلام عليه : «تنبيه اللاهي» لإسماعيل الأنصاري، ص ٣٣، وأحاديث ذم الغناء والعازف، للجديع ص ٣٥ .

(٥) ينظر : نزهة الأسماع لابن رجب، ص ٢٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٨، وذكر أن الخلاف الواقع ـ على ضعفه ـ إنما حصل في الغناء بدون آلات الملاهي، وينظر أيضاً : إغاثة اللهفان لابن القيم ٢٤٦/ ١ .

(٦) صححه ابن القيم في الإغاثة ٢٤٨/ ١ ووضّح معناه.

٣ ـ وقال الفضيل بن عياض : الغناء رقية الزنا.

والمعنى أنه يدعو إلى الزنا[1].

بعض مفاسده وآثاره السيئة :

١ ـ أنه يسبب النفرة من سماع القرآن الكريم، والمواعظ النافعة.

٢ ـ يلهي القلب عن فهم القرآن وتدبره، وذوق حلاوته، وسرّ ذلك وسببه أنه مزمار الشيطان، فلا يجتمع هو وقرآن الرحمن في قلب أبدا؛ لما بينهما من التضاد، فالقرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة، والغناء يأمر بضدّ ذلك.

٣ ـ أنه في الحقيقة بريد للزنا والفاحشة بما فيه من ذكر الحب والغزَل والنساء، وغير ذلك مما يدعو إلى الرذيلة والفساد.

٤ ـ يسبب تعلق القلب به، وانصرافه عن محبة اللّٰه المحبة الحقيقية.

٥ ـ يذهب الوقت ويضيعه بما لا ينفع فيه، بل فيه الضرر.

٦ ـ قد يسبب لفاعله ـ أو سامعه ـ الرعونة وقلة الحياء، فتجده يميل رأسه، ويصفق بيديه، وربما اهتز، وضرب الأرض برجليه، وغير ذلك.

٣ ـ الاستماع للغيبة

والغيبة هي : ذكرك أخاك بما يكره، وهي من كبائر الذنوب، فلا يجوز الاستماع لها، بل الواجب على المسلم إذا سمع مَن يغتاب فإنه يوقفه ويرشده لترك ذلك، ويحذره من الغيبة، ويذكّره بخطرها، فإن استجاب فهو المطلوب، وإلا فلا خير في الجلوس مع مثله.

(١) انظر في معناه : الإغاثة ١/٢٤٥ .

* للتوسع في الموضوع انظر : كتاب السماع، للإمام ابن القيم، وإغاثة اللهفان له (الجزء الأول)، ونزهة الأسماع في مسألة السماع، للحافظ ابن رجب.

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ... ﴾ الآية[1].

وأشد من مجرد السكوت أن يُظهر المتابعة والإنصات والتعجّب لما يقول المغتاب، قال الغزالي رحمه الله : والتصديق بالغيبة غيبة، بل الساكت شريك المغتاب[2].

٤ـ الاستماع للنميمة

والنميمة : نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد، وهي محرّمة، ومن الكبائر، وينبغي لمن نقلت إليه النميمة عدة أمور :

(أ) ألا يصدّق النمام.

(ب) أن ينهاه وينصحه.

(جـ) أن يبغضه في الله حتى يترك ما هو فيه.

(د) ألا يظن بأخيه الغائب سوءاً.

(هـ) أن لا يدفعه هذا الكلام إلى التجسس والتحري[3].

٥ ـ أن يستمع إلى حديث قوم وهم يكرهون ذلك ولا يرضونه

وسواء أكانت كراهيتهم صريحة، كأن يقولوا : لا تتسمع حديثنا، أم كانت غير صريحة، لكن تدل القرائن عليها، كأن يتحدثوا بصوت منخفض فيما بينهم فلا يجوز التنصّت[4] لحديثهم.

ومن ذلك : التنصت على الناس في بيوتهم، أو غرفهم، أو عبر الأجهزة من هاتف وغيره، فكل هذا وأشباهه حرام، وتحريم ذلك من مقاصد الشريعة الإسلامية، حيث جاءت بالمحافظة على أسرار الناس وأمورهم الخاصة التي لا يحبون أن يطلع عليها أحد.

---

(١) آية ٥٥ من سورة القصص.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/١٣٨ .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين ٣/١٤٧ .

(٤) التنصت : الاستماع، والمشهور عند الناس : التصنت، وهو غلط.

وقد ورد النهي عنه في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ...﴾ الآية[1]، والتجسس يكون بالاستماع وغيره.

وقد توعد النبي ﷺ من يفعل ذلك، فقال : «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أذنيه الآنُك يوم القيامة»[2].

والآنُك ـ بالضم ـ الرصاص المذاب، وهذا يدل على أن الجزاء من جنس العمل.

الأسئلة

س١ : ما أنواع المسموعات ؟ مع التمثيل لكل نوع بمثال.

س٢ : ما حكم سماع الأغاني ؟ اذكر الأدلة على ما تقول، ثم اذكر أربعاً من المفاسد المترتبة على سماعه.

س٣ : أيهما أشد تحريماً سماع الغناء من رجل أو من امرأة؟ مع التعليل لما تقول .

س٤ : ما حكم التنصت على الآخرين ؟ وما الدليل على ما تقول ؟ ثم اذكر ثلاث صور له.

---

(١) آية ١٢ من سورة الحجرات، وهو أيضاً لفظ حديث رواه مسلم، ١٩٨٥/ ٤ برقم (٢٥٦٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه (الفتح ٤٢٧/ ١٢) ح (٧٠٤٢).

الـذكـــــر

معنـى الـذكـــر

الذكر بكسر الذال لغة : الحفظ للشيء، والثناء، والشرف، والذكر : الشيء يجري على اللسان، والذكر بضم الذال : خلاف النسيان[١].

وفي الشرع : ما يجري على اللسان والقلب من تسبيح الله تعالى وحمده والثناء عليه وقراءة كتابه ودعائه، وتنفيذ أوامره، والتفكر في آلائه ومخلوقاته.

يقول النووي رحمه الله : اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى، كذا قال سعيد بن جبير وغيره من العلماء[٢].

أهـمـيـتـه

الإنسان في هذه الدنيا يتقلب فيها من حال إلى حال، فمن الصحة إلى المرض، ومن الغنى إلى الفقر، ومن القوة إلى الضعف، والعكس أيضاً، وهو في جميع أحواله وظروفه مرتبط بالله سبحانه وتعالى، لا غنى له عنه لحظة من اللحظات، فهو الخالق له، والمدبر لجميع شؤونه، وقد كلّفه بعبادته في هذه الدنيا، وجعل له سبلاً متعددة تتحقق بها هذه العبادة.

ومن أعلى هذه السبل وأهمها ذكر الله تعالى، الحبل المتين، الذي يربط المخلوق بخالقه، ويجعله يعيش في معيته سبحانه، ويقيم النفس على الجادة، ويثبتها على الصراط المستقيم.

ومن هنا أمر المسلم بأن يكون من الذاكرين الله تعالى ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[٣].

---

(١) ينظر : لسان العرب ١٥٠٧/ ٣ مادة (ذكر)، والصحاح ٦٦٤/ ٢ مادة (ذكر).

(٢) الأذكار للنووي ص ٩، وللزيادة ينظر : الوابل الصيّب، لابن القيّم ص ١٠٨ ـ ١١٠ .

(٣) آية ٤١ ـ ٤٢ من سورة الأحزاب.

وقول سبحانه : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ... ﴾ الآية[١].

فضل الذكر وفوائده

يقول ابن العربي رحمه الله تعالى : هذا باب عظيم طاشت فيه الألباب[٢]، وذلك لعظم الفوائد الحاصلة منه، وقد ذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه : (الوابل الصيّب من الكلم الطيب)، أكثر من سبعين فائدة، منها :

١ ـ سعادة القلب وطمأنينته في الدنيا والآخرة، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٣].

٢ ـ ذِكْر الله من أفضل الطاعات وأجل القربات، بل أفضلها؛ لأن المقصود بالطاعات ذكر الله تعالى، قال تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ... ﴾ الآية[٤]، وقال تعالى : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[٥].

وروى الترمذي وغيره عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا : بلى يا رسول الله، قال : «ذكر الله»[٦].

٣ ـ الذاكرون الله تعالى هم أهل الانتفاع بآياته، وهم أولو الألباب والعقول، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ... ﴾ الآية[٧].

٤ ـ ذكر الله حِصن حَصين، يحرز به العبد نفسه من الشيطان.

---

(١) آية ٢٠٥ من سورة الأعراف.
(٢) عارضة الأحوذي ٢٩٧/ ١٢ .
(٣) آية ٢٨ من سورة الرعد.
(٤) آية ٤٥ من سورة العنكبوت.
(٥) آية ٣٥ من سورة الأحزاب.
(٦) رواه الترمذي في جامعه، في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر ٤٥٩/ ٥ .
(٧) آية ١٩٠ ، ١٩١ من سورة آل عمران.

روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما أن النبي ﷺ قال فيما حكاه عن يحيى بن زكريا ـ عليه السلام ـ أنه قال لبني إسرائيل : «وآمركم أن تذكروا اللّٰه، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر اللّٰه»[1].

٥ ـ من فوائده : أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

روى مسلم ـ رحمه اللّٰه ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول اللّٰه ﷺ يسير في طريق مكة، فمرّ على جبل يقال له : جُمْدان، فقال : «سيروا ـ هذا جمدان ـ سبق المفرّدون» قال : وما المفردون، يا رسول اللّٰه ؟ قال : الذاكرين اللّٰه كثيراً والذاكرات»[2].

٦ ـ جلب الأرزاق العاجلة والآجلة للفرد والأمة، قال اللّٰه تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[3] والاستغفار من الذكر.

من أنواع الذكر

عرفنا أن الذكر يكون باللسان، ويكون بالقلب، ويكون بهما معًا، وعليه يمكن أن نذكر بعضاً من أنواعه :

١ ـ الذكر باللسان، مثل التسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، وغيرها من الأذكار الواردة في نصوص الكتاب والسنة.

٢ ـ قراءة كتاب اللّٰه تعالى، فهو كلام اللّٰه تعالى، المنزّل على رسوله ﷺ، وقراءته أفضل من الأذكار المطلقة؛ لأنه كلام اللّٰه تعالى، فقد روى الترمذي، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول اللّٰه ﷺ قال : «من قرأ حرفاً من كتاب اللّٰه فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[4].

(١) جزء من حديث طويل رواه الترمذي، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ٥/ ١٣٦، ح (٢٨٦٣)، وقال : حسن صحيح غريب، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٣٠ . (٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر اللّٰه ٤/ ٢٠٦٢ . (٣) آية ١٠ ، ١١ ، ١٢ من سورة نوح.

(٤) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ٥/ ١٦١ ح (٢٩١٠) وقال : حسن صحيح غريب.

٣ ـ الدعاء، وهو من أفضل الأذكار؛ لأنه تقرب إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ لتلبية حاجات العبد الدنيوية والأخروية.

٤ ـ الاستغفار، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾[1].

٥ ـ التفكّر في مخلوقاته الله تعالى بالقلب، فهذا من أعظم الذكر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[2].

٦ ـ عمل الطاعات المختلفة، من الصلاة، والصيام، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وتعلّم العلم وتعليمه، وغير ذلك كله من الذكر؛ لأن المقصود بالأعمال الصالحة الذكر، قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾[3].

أوقات الذكر

١ ـ ذكر مطلق ليس له وقت محدد أو مكان محدد، وهذا في جميع الأوقات والأمكنة، ما عدا ما يمتنع فيه الذكر كدورات المياه، ونحو ذلك.

٢ ـ ذكر مقيّد بوقت أو حال أو مكان، مثل أذكار الصباح والمساء، ووقتها من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومن بعد العصر إلى غروب الشمس، وكذا الأذكار عند النوم، وعند الاستيقاظ منه، وعند دخول المنزل، والمسجد، والخروج منهما، وفي حال المرض، والأكدار، والهموم، والمصائب، وكذا عند السفر، ونزول المطر، وغيرها كثير مما هو مقيد بوقت أو حال أو مكان.

(١) آية ١٠ من سورة نوح.
(٢) آية ١٩٠ من سورة آل عمران.
(٣) آية ١٤ من سورة طه.

أمثلة للأذكار

١ ـ من الذكر المطلق: جاء في صحيح مسلم، عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبّ الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيّهن بدأت»[١].

٢ ـ ومن أذكار الصباح والمساء، ما رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»[٢].

٣ ـ من الذكر عند الكرب: ما رواه مسلم في صحيحه، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[٣].

هذه مجرد أمثلة، وإلا فعلى المسلم أن يحاول حفظ هذه الأذكار وغيرها، وأن يلازمها في أوقاتها وأحوالها؛ ليغنم أجر الذكر وفضيلته ويكون من الذاكرين الله تعالى، وقد اهتم العلماء بجمعها وتيسيرها قديماً وحديثاً، فمن الكتب المتقدمة في ذلك: عمل اليوم والليلة، للنسائي، ومثله لابن السني، ومِن أجمعِها وأخصرها: كتاب الأذكار، للإمام النووي، والكلم الطّيب، للإمام ابن تيمية، والوابل الصيب، للإمام ابن القيّم، رحمهم الله تعالى.

الأسئلة

س١: ما المراد بالذكر شرعاً؟

س٢: (لا غنى للإنسان عن ذكر الله) وضّح معنى هذه الجملة، مبيّنا السبب في ذلك.

س٣: اذكر ثلاثة أنواع من الذكر، مع الأدلة.

س٤: اذكر بعضاً من ثمار الذكر في الدنيا والآخرة.

س٥: مثّل لبعض الأذكار المطلقة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة ٣/١٦٨٥ رقم الحديث (٢١٣٧)، وعلقه البخاري في ١١/٥٦٦ .
(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ٤/٢٠٧١ رقم الحديث (٢٦٩٢).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، باب دعاء الكرب ٤/٢٠٩٢ .

الدعـــاء

معنى الدعـاء

لغـة : النداء والطلب، تقول : دعوت فلاناً، بمعنى : طلبته وناديته[١].

في الشرع : الاستعانة بالله تعالى ومناداته لجلب النفع والخير، ودفع الأذى والشر.

وقد ورد في القرآن الكريم على معان عدّة، منها :

ـ العبادة، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[٢].

ـ الاستغاثة، قال تعالى : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٣].

أي استغيثوا بشهدائكم.

أهمّيتــه

إن من نعمة الله تعالى على عباده أن هيّأ لهم الأسباب الموصلة إليه، إذ إنه لا غنى للعباد عن خالقهم سبحانه وتعالى بأي حالٍ من الأحوال، ومن أهمّ ما يقرّب إلى الله تعالى دعاؤه ورجاؤه والاستغاثة به، فبه يعبد الإنسان ربّه، ويتحقق مطلوبه، وينال مبتغاه، ويحصل على رضى ربه جلّ وعلا.

فضله وفوائده

للدعاء فضل عظيم وأجر كبير، وثمار يانعة، وفوائد جليلة، منها :

(أ) أن الدعاء عبادة يؤجر صاحبها بتقرّبه إلى الله تعالى فيه، يقول تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[٤].

---

(١) ينظر : المفردات في غريب القرآن ص ١٦٩، ومختار الصحاح ص ٢٠٦ .

(٢) آية ٦٠ من سورة غافر. (٣) آية ٢٣ من سورة البقرة. (٤) آية ١٦ من سورة السجدة.

(ب) في الدعاء إجابة لطلب الداعي، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... ﴾ الآية[١].
وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٢].
(جـ) في الدعاء خضوع للخالق جلّ وعلا، وإشعار بالذلة له، يقول تعالى : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٣].
(د) في الدعاء دفع الشرور والآثام عن الداعي سواء كانت في الدنيا أو الآخرة.

يطمح المؤمن أن يستجيب اللّٰه تعالى دعاءه، ويلبّي مقصوده، ولكن هذه الإجابة لا تتحقق إلا بشروط، هي :

شـــروط إجـابــة الـدعــاء

١ ـ الإخــلاص : وهو أهم شروط قبول الأعمال، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٤].

والإخلاص : تجريد العبودية للّٰه تعالى من جميع المتعلقات، فلا يقصد بعبادته ودعائه إلا اللّٰه سبحانه وتعالى، ومن خالف ذلك فقد أشرك، قـال تعـالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[٥].

٢ ـ أن يكــون مال الــداعي حــلالا : لأن المال الحرام مانع من إجابة الدعاء.

روى مسلم ـ رحمه اللّٰه ـ في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : «يا أيها الناس، إن اللّٰه طيّب لا يقبل إلا طيّبا، وإن اللّٰه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمدّ يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام،

(١) آية ٦٠ من سورة غافر.
(٢) آية ١٨٦ من سورة البقرة.
(٣) آية ٥٥ ، ٥٦ من سورة الأعراف.
(٤) آية ٦٥ من سورة غافر.
(٥) آية ١١٧ من سورة المؤمنون.

وملبسه حرام، وغَذِيَ بالحرام، فأنى يستجاب له»[١].

٣ ـ ترك الاعتداء في الدعاء :

والمقصود به أن لا يتجاوز في الدعاء إلى غير المشروع، كأن يدعو بإثم أو قطيعة رحم، أو يدعو بالهلاك والدمار على فرد أو أفراد؛ لخطأ يسير عليه مثلاً، قال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٢].

من آداب الدعاء

١ ـ أن يدعو بتضرّع وخشوع وحضور قلب كما في الآية السابقة.

٢ ـ أن يجزم بالدعاء ويلحّ فيه، ويوقن بالإجابة ولا يستبطئها.

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن : اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له»[٣].

٣ ـ أن يختار الداعي الزمان الفاضل، والمكان الفاضل، مثل : يوم عرفة مِن السنَة، وشهر رمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، وليلة القدر من رمضان، وآخر الليل من كل ليلة، والسجود من أفعال الصلاة، وبين الأذان والإقامة، ومثل حال السفر، والصيام، والاضطرار، والحج، وبالأخص عند الطواف والسعي، وبعد رمي الجمار، وغيرها.

وكل هذه الأحوال والأزمنة وردت فيها نصوص خاصة.

٤ ـ يستحب أن يكون على طهارة، مستقبل القبلة، رافعاً يديه، مفتتحاً دعاءه ومختتماً له بالحمد للّه والصلاة والسلام على رسوله ﷺ.

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة ٧٠٣/ ٢ .

(٢) آية ٥٥ من سورة الأعراف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، ١٤٤/ ١١، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب العزم في الدعاء ولا يقول إن شئت رقم ٢٦٧٨ .

موانع الإجابة

عرفنا فيما سبق شروط إجابة الدعاء، وضدّها موانع الإجابة، مثل : الشرك بالله، وعدم الإخلاص فيه، والتعامل بالحرام كالغشّ والربا، وأكل أموال الناس بالباطل، والرشوة، وكذا الاعتداء بالدعاء، أو الدعاء بالأدعية المحرّمة، أو الأدعية البدعية كالتوسل بالأموات وأصحاب الأضرحة.

فإذا ما حصل شيء من هذه الأمور كان مانعاً لإجابة الدعاء.

فعلى المسلم أن يحرص على أن لا يقترف شيئاً من هذه الموانع؛ لأجل أن يقبل دعاؤه.

أمثلة للدعاء

١ ـ الدعاء للنفس بخيري الدنيا والآخرة.

٢ ـ الدعاء لولي الأمر بالتوفيق والسداد والخير والصلاح.

٣ ـ الدعاء للأبناء بالصلاح والاستقامة.

٤ ـ الدعاء للمريض بالشفاء والأجر والمثوبة.

٥ ـ الدعاء لمن قدم لك خيراً.

٦ ـ الدعاء للمسلمين بعامة بما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

الأسئلة

س١ : اذكر معنى الدعاء شرعاً.

س٢ : الدعاء عبادة لله تعالى، اذكر الدليل على ذلك.

س٣ : من شروط إجابة الدعاء : ترك الاعتداء في الدعاء، وضح ذلك.

س٤ : لا غنى لكل إنسان عن الدعاء، ما السبب في ذلك ؟

س٥ : اذكر ثلاثاً من موانع إجابة الدعاء.

الاستقامة

تعريفها ومنزلتها

معنى الاستقامة : هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم، من غير ميل عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها، الظاهرة والباطنة[1].

وهي وسط بين الغلوّ والتقصير، وكلاهما منهي عنه شرعاً.

الاستمرار عليها، والتقصير فيها

المؤمن مطالب بالاستقامة الدائمة، ولذلك يسألها ربه في كل ركعة من صلاته : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝﴾[2] ولما كان من طبيعة الإنسان أنه قد يقصر في فعل المأمور، أو اجتناب المحظور، وهذا خروج عن الاستقامة، أرشده الشرع إلى ما يعيده لطريق الاستقامة، فقال تعالى مشيراً إلى ذلك :

﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ...﴾ الآية[3]، فأشار إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، وأن ذلك التقصير يُجبَر بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة.

وقال ﷺ : «اتق اللّه حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تَمحها»[4].

مقامات الدين التي يطالب بها العبد

قال ﷺ : «سددوا وقاربوا»[5]، فالسداد : الوصول إلى حقيقة الاستقامة، أو هو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد.

---

(١) جامع العلوم والحكم، شرح الحديث الحادي والعشرين.

(٢) آية ٦ من سورة الفاتحة. (٣) آية ٦ من سورة فصلت.

(٤) رواه أحمد ٥/ ١٥٣، ١٥٨، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس ٤/ ٣١٢، رقم (١٩٨٧)، وقال : حسن صحيح، والحاكم ١/ ٥٤، وقال : صحيح على شرطها، ووافقه الذهبي، وانظر جامع العلوم والحكم، حديث رقم (١٨).

(٥) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد ١١/ ٢٩٤، ح (٦٤٦٣، ٦٤٦٤)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب : لن يدخل أحد

وقوله: «قاربوا» أي: اجتهدوا في الوصول إلى السداد، فإن اجتهدتم ولم تصيبوا فلا يفوتكم القرب منه.

فهما مرتبتان يطالَب العبد بهما: السداد، وهي الاستقامة، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة، وما سواهما تفريط وإضاعة، والمؤمن ينبغي عليه أن لا يفارق هاتين المرتبتين، وليجتهد في الوصول إلى أعلاهما، كالذي يرمي غرضاً يجتهد في إصابته، أو القرب منه حتى يصيبه[1].

أهميتها

مما يدل على أهميتها أمور، منها:

١ ـ أنها في حقيقتها تحقيق للعبودية التي هي الغاية من خلق الإنس والجنّ، وبها يحصل للمرء الفوز والفلاح.

٢ ـ أن الله تعالى قد أمر رسوله ﷺ بتحقيقها، وكذلك كل من كان معه، فقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ...﴾ الآية[2]، وقال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ...﴾ الآيـة[3]، وغير ذلك بها.

بل قد أمر الله تعالى بها أيضاً أنبياءه، فقال، في حق موسى وأخيه هارون عليهما السلام: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا ...﴾ الآية[4].

٣ ـ ومما يدل على أهميتها أن رسول الله ﷺ لما جاءه سفيان بن عبدالله الثقفي ـ رضي الله عنه ـ يقول له: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، فقال له النبي ﷺ: «قل آمنت بالله، فاستقم»[5]

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، حديث (٢١)، ومدارج السالكين لابن القيم، منزل الاستقامة، وشرح النووي على مسلم (الحديث السابق).
(٢) آية ١١٢ من سورة هود.
(٣) آية ١٥ من سورة الشورى.
(٤) آية ٨٩ من سورة يونس.
(٥) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام ١/ ٦٥ رقم (٣٨)، وهذا لفظه في النسخة المطبوعة، وإن كان اللفظ المشهور: (ثم استقم)، وعليه شرح النووي وغيره، والله أعلم.

١ ـ من أهم أسباب الاستقامة إرادة اللّه لهذا العبد الهداية، وشرح صدره للإسلام، وتوفيقه للطاعة والعمل الصالح، قال تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

٢ ـ الإخلاص للّه تعالى، ومتابعة رسوله ﷺ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... ﴾ الآية[2].

٣ ـ الاستغفار والتوبة :

وقد علّق اللّه تعالى الفلاح والنجاح بالتوبة، فقــال تعــالى : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[3].

٤ ـ محاسبة النفس :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[4].

قال ابن كثير رحمه اللّه تعالى : أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم[5].

فالمحاسبة تحفظ المسلم من الميل عن طريق الاستقامة.

٥ ـ المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة :

لأنها صلة بين العبد وربه، وهي من عوامل ترك الفحشاء والمنكر، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ... ﴾ الآية[6].

---

(١) آية ١٥ ، ١٦ من سورة المائدة.
(٢) آية ٥ من سورة البينة.
(٣) آية ٣١ من سورة النور.
(٤) آية ١٨ من سورة الحشر.
(٥) انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٤٢ .
(٦) آية ٤٥ من سورة العنكبوت.

٦ ـ طلب العلم : والمقصود به علم الكتاب والسنة؛ لأنه الوسيلة لمعرفة الله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ.

٧ ـ اختيار الصحبة الصالحة : لأن الجليس الصالح يعين صاحبه على الطاعة وعلى طلب العلم، وينبهه على أخطائه، أما الجليس السيء فعلى العكس من ذلك تماماً، قال تعالى : ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾[١].

٨ ـ حفظ الجوارح عن المحرمات : وأهمها : اللسان، فيحفظه عن الكذب والغيبة والنميمة وغيرها، ويحفظ بصره عن المحرمات، وليكن نُصب عينيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾[٢].

وقوله عليه الصلاة والسلام : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٣].

٩ ـ معرفة خطوات الشيطان للحذر منها :

قال تعالى : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾[٤].

من ثمرات الاستقامة

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[٥].

---

(١) آية ٦٧ من سورة الزخرف.

(٢) آية ٣٦ من سورة الإسراء.

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ١١/٣٠٨، ح (٦٤٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار ١/٦٨، ح (٤٧، ٤٨).

(٤) آية ٢١ من سورة النور.

(٥) الآيات ٣٠ـ٣٢ من سورة فصلت.

من هذه الآية وغيرها نستنتج بعضاً من ثمرات الاستقامة :

١ ـ طمأنينة القلب بدوام الصلة بالله عز وجل.

٢ ـ أن الاستقامة تعصم صاحبها ـ بإذن الله عز وجل ـ من الوقوع في المعاصي والزلل وسفاسف الأمور والتكاسل عن الطاعات.

٣ ـ تنزّل الملائكة عليهم عند الموت، وقيل : عند خروجهم من قبورهم، قائلين : ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ على ما قَدِمْتم عليه من أمور الآخرة، ولا ما تركتم من أمور الدنيا من مال وولد وأهل.

٤ ـ حب الناس واحترامهم وتقديرهم للمسلم، سواء كان صغيراً أو كبيراً على ما يظهر عليه من حرص على الطاعة، والخلق الفاضل.

٥ ـ وعد الله المتقين أن لهم في الجنة ما تشتهيه أنفسهم، وتلذ أعينهم، وتطلبه ألسنتهم، إحساناً من الله تعالى.

الأسئلة

س١ : ما السداد ؟ وما المقاربة ؟

س٢ : تحدث عن أهمية الاستقامة في حياة المسلم.

س٣ : عدّد أربعا من ثمرات الاستقامة.

س٤ : (يكفي المرء المسلم أن يقف عند مرتبة المقاربة). ما رأيك بهذه العبارة ؟ مع التعليل.

الواجبات المنزلية التي كلف بها الطالب

تاريخ إعطاء الواجب	موضوع الواجب	رقم الصفحة	إحضار الواجب		الدرجة	ملاحظات
			اليوم	التاريخ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		

شركة المطابع الأهلية للأوفست المحدودة
National Offset Printing Press Ltd. Co.
الرياض - المملكة العربية السعودية